مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٤)، ص ص ٢٣١٧ - ٢٣٨١ (رجب ١٤٤١هـ / مارس ٢٠٢٠م)

د.عبدالله بن صالح بن عبدالله الخضيري

الأثر الدلالي للضمير العائد إلى (القرآن) في القرآن الكريم

الدكتور عبْدُالله بن صَالح بن عَبْدِاللهِ الخُضَيري
الأسْتَاذُ المشَارِكُ بكليَّة الدَّعْوَةِ وَأُصُوْلِ الدِّيْن جَامِعَةِ أُمِّ القُرَى

ملخص البحث. يهدف هذا البحث (الأثر الدلالي للضمير العائد إلى (القرآن) في القرآن الكريم)، إلى بيان معنى الضمير عموما، وبيان مدى أهميته كقاعدة من قواعد تفسير القرآن الكريم، وإلى بيان أثر الضمير العائد على لفظ القرآن في اتساع الدلالات والترجيح، وذلك من خلال النظر في الآيات القرآنية التي وردت فيها ألفاظ (القرآن، قرآن)، وقد اعتمد البحث المنهج الوصفي القائم على التحليل والاستنباط للوصول إلى تحقيق تلك الأهداف.

والبحث في النهاية يضيف دلالات إعجازية بيانية إلى القرآن الكريم من خلال توضيح التنوع الدلالي الذي يثبته من عَود الضمير على القرآن، كما يبين بعض الدلالات في اتساع المعنى، والتي أمكن الوقوف عليها من خلال التدبر في الآيات المقصودة بالبحث، ومن تلك الدلالات: بيان أن اسم القرآن عَلَم على القرآن كله وعلى كل آية أو سورة منه، وبيان أن الضمير قد يعود على القرآن بصور متعددة، ملفوظة وملحوظة، سابقة أو لاحقة، وأيضا يأتي الضمير العائد إلى القرآن إما ضمير غيبة، أو حضور من خلال ضمير الإشارة أو الموصولية، وفي بيان ذلك تتبين دلالات تظهر علو شأن القرآن والتنويه به وتعظيمه من جهات مختلفة، وأيضا يبيِّن البحث أن من دلالات عود الضمير على القرآن إثبات أوصاف وأحوال وأحكام تعود إلى القرآن الكريم، كما يبين البحث أن للضمير العائد على القرآن دلالات ترجيحية سواء في عود الضمير نفسه، أو في ترجيح معاني معينة، أو في ترجيح تساوي المعاني المحتملة في السياق، إلى غير ذلك.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٤)، ص ص ٢٣١٧ - ٢٣٨١ (رجب ١٤٤١هـ / مارس ٢٠٢٠م)

الأثر الدلالي للضمير العائد إلى (القرآن) في القرآن الكريم

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه وبعد:

فهذا بحث في دلالات الضمير العائد إلى القرآن في القرآن وأثره الدلالي السياقي، وهو بحث يأتي في إطار التدبر لمعاني القرآن الكريم الذي حضّ الله على تدبره بقوله: {أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفاً كَثِيراً} النساء:٨٢، والتدبر له يكون بحسب المعطيات اللفظية والسياقية، وبحسب الطاقة البشرية .

إضافة إلى هذا فقد كان من الباعث على هذا البحث ملاحظتي لتكرر عود الضمائر على القرآن في آيات عديدة من القرآن، فأردت أن أستجلي الأمر بمزيد من النظر المباشر في كل آية فيها ضمير يحتمل عوده على القرآن، فخرجت من خلال ذلك بهذا البحث المبارك، بإذن الله، والذي أسميته: (الأثر الدلالي للضمير العائد إلى القرآن في القرآن الكريم).

مشكلة البحث:

يمكن صياغة مشكلة البحث في التساؤلات التالية:

١. ما مدى أهمية الضمير في بيان المعاني والتفسير القرآني.

٢. ما الأثر الدلالي الذي يحدثه الضمير العائد إلى القرآن في القرآن من حيث المعنى.

٣. ما الأثر الدلالي الذي يحدثه الضمير العائد إلى لقرآن في القرآن من حيث الترجيح.

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى تحقيق الأهداف التالية:

١. بيان معنى الضمير، ومدى أهميته كقاعدة من قواعد التفسير.

٢. بيان أثر الضمير العائد على القرآن في اتساع دلالات المعاني.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٤)، ص ص ٢٣١٧ - ٢٣٨١ (رجب ١٤٤١هـ / مارس ٢٠٢٠م)

٣. بيان أثر الضمير العائد على القرآن في الترجيح.

أهمية البحث :

تأتي أهمية هذا البحث من خلال أنه يتعلق بعلم الدلالات عموما والدلالات القرآنية خصوصا، ثم هو يبرز معاني عميقة وبعيدة في النص القرآني قد لا تتبادر إلى الذهن بمجرد النظر العادي، فهو يجليها ويبينها وفق أصول البحث العلمي ومستندا لأقوال العلماء السابقين الأثبات، وموضوع البحث فيه تدليل للإعجاز البياني في القرآن الكريم.

منهجية البحث :

اعتمدت في هذا البحث المنهج الوصفي القائم على الاستقراء ثم التحليل والاستنباط، وذلك باستقراء القرآن الكريم أولا لاستخلاص الضمائر المحتملة من السياق القرآني في موضوع البحث، ثم باستقراء أقوال المفسرين وأهل العلم فيها، ثم تصنيفها إلى دلالات توسعية ودلالات ترجيحية، مع الاستدلال لذلك بالأمثلة، كما ستراه في البحث.

الدراسات السابقة :

هناك بعض الدراسات التي تناولت الضمائر بشكل عام نحو دراسة الدكتور عبد الكريم القاسم الموسومة بـ(عود الضمير وأثره في التفسير دراسة لضمير الغائب المعتمد على الهاء في حزب المفصل)[١]، وهي تختلف عن بحثي لأمور؛ أولها: أن دراسة القاسم تأصيلية لعموم الضمير الغائب في القرآن ، وأما دراستي فهي خاصة بالأثر الدلالي للضمير العائد على القرآن في القرآن وثانيا: اقتصرت رسالة القاسم على حزب المفصل من القرآن فقط وفي بحثي هذا حاولت استيعاب الضمائر العائدة على القرآن في القرآن كاملا لا حزب المفصل فقط . ثالثاً: ذكر القاسم في توصياته أن دراسته لم تتجاوز الدراسة ١٣% من ضمير المنفصل، و ١٦% من ضمير المتصل، فالاستقراء ناقص يحتاج لإكمال المشروع، وهذه دعوة للباحثين لدراسة هذا الموضوع التطبيقي الذي يثري الباحث ويصنعه) وأنا في بحثي حاولت إكمال جانب معين من

---

[١] – رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراة من قسم الثقافة الإسلامية بجامعة الملك سعود ؛للدكتور عبدالحكيم بن عبدالله بن عبدالرحمن القاسم، بإشراف الدكتور :زيد بن عمر بن عبدالله العيص ،نوقشت بتاريخ ١٤٣٠/٦/١٦هـ بكلية التربية بجامعة الملك سعود نسخة pdf

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٤)، ص ص ٢٣١٧ - ٢٣٨١ (رجب ١٤٤١هـ / مارس ٢٠٢٠م)

الضمائر وأثرها الدلالي. وهناك دراسة أخرى بعنوان: مرجع الضمير في القرآن الكريم، لمحمد حسنين صبرة [٢]، **وهو بحث لغوي** –كما يقول عنه القاسم[٣]– يذكر فيه المؤلف ما يظهر له من معنى في الآية التي فيها ضمير ، ولا يشير إلى الخلاف إلا نادراً، وقد رتب مواضع الضمير حسب ترتيب القرآن ، دون جمع النظير إلى نظيره ، ففات بذلك النظرة التأصيلية وهي دراسة تتسم بالعمومية أيضاً ولم تتطرق –على وجه الخصوص– لما تناولته في بحثي هذا .

خطة البحث: وقد قمت بتقسيم خطة البحث إلى، تمهيد ومبحثين.

التمهيد وفيه فرعان: الفرع الأول: تعريف الضمير.

الفرع الثاني: أهمية الضمير كقاعدة من قواعد التفسير.

المبحث الأول: الضمير العائد إلى القرآن الكريم وأثره في اتساع المعنى، وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: دلالة الضمير العائد إلى القرآن على أن القليل من القرآن أو الكثير أو الجزء منه يسمى قرآناً

المطلب الثاني: دلالة الضمير العائد إلى القرآن على معنىً خاص لا يظهر بدون الضمير

المطلب الثالث: دلالة الضمير العائد إلى القرآن على معان مختلفة

المطلب الرابع: دلالة الضمير العائد إلى القرآن على التفخيم والتعظيم

---

[٢] – مرجع الضمير القرآن الكريم، المؤلف: مُحَمَّد حسنين صبرة، مؤسسة :دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ،الطبعة الثانية ٢٠٠١م ،القاهرة .

[٣] – عود الضمير وأثره في التفسير ، للقاسم ص (٩) مصدر سابق .

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٤)، ص ص ٢٣١٧ - ٢٣٨١ (رجب ١٤٤١هـ / مارس ٢٠٢٠م)

المطلب الخامس: دلالة الضمير على القصر والحصر

المبحث الثاني: الضمير العائد إلى القرآن الكريم وأثره في الترجيح، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: دلالة الضمير على ترجيح عائد على ضمير في موضع آخر

المطلب الثاني: دلالة الضمير العائد على ترجيح معنى من المعاني

المطلب الثالث: دلالة الضمير على ترجيح عود ضمير على أكثر من احتمال توسيعا للمعنى

المطلب الرابع: دلالة الضمير العائد على ترجيح حكم من الأحكام المختلف فيها

تمهيد: تعريف الضمير وأهميته وفيه فرعان:

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٤)، ص ص ٢٣١٧ - ٢٣٨١ (رجب ١٤٤١هـ / مارس ٢٠٢٠م)

الفرع الأول: تعريف الضمير:

أولا: الضمير في اللغة:

الضمير هو من الفعل (ضَمَرَ)، قال ابن فارس: (ضَمَرَ) الضَّادُ وَالْمِيمُ وَالرَّاءُ أَصْلَانِ صَحِيحَانِ، أَحَدُهُمَا يَدُلُّ عَلَى دِقَّةٍ فِي الشَّيْءِ، وَالْآخرُ يَدُلُّ عَلَى غَيْبَةٍ وَتَسَتُّرٍ[٤].ومنه الفعل (أَضْمَر)، وَالِاسْمُ (الضَّمِيرُ)[٥].

ومن معاني الضمير في اللغة: السِّرُّ وداخِلُ الخاطرِ ،والشَّيْءُ الَّذِي تُضْمِره فِي قَلْبِكَ[٦].،و(العِنَبُ الذَّابِلُ)، وَيُقَال: أَطْعِمُونا من ضَمِيرِكُم، وَهُوَ مَا ضَمُرَ من العِنَبِ، فَلَيْسَ عِنَباً وَلَا زَبِيباً[٧].هذه معاني الضمير في اللغة، وفيها دلالة على خفاء ودقة وستر. قال الكفوي: وَالضَّمِير فِي اللُّغَة: المستور[٨].

ثانيا: الضمير في الاصطلاح:

يمكن أن يعرّف الضمير في الاصطلاح باعتبارات متعددة وما يهمنا هو تعريف النحاة المتعلق ببحثنا هذا وهو: مَا دلّ على مُتَكَلم كأنا أَو مُخَاطب كَأَنْت أَو غَائِب كَهُوَ[٩].

---

[٤]. مقاييس اللغة، المؤلف: أحمد بن فارس بن زكريا القزويني، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)، المحقق: عبد السلام مُحَمَّد هارون، د.ت. (٣/ ٣٧١)

[٥] – مختار الصحاح، المؤلف: زين الدين أبو عبد الله مُحَمَّد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفى: ٦٦٦هـ)، المحقق: يوسف الشيخ مُحَمَّد، الناشر: المكتبة العصرية – الدار النموذجية، بيروت – صيدا، الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م. (ص: ١٨٥) وتاج العروس من جواهر القاموس، للمرتضى، الزَّبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، د ت. (١٢/ ٤٠١)

[٦] – لسان العرب، المؤلف: مُحَمَّد بن مكرم بن على، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ)، الناشر: دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤١٤ هـ. (٤/ ٤٩٢)

[٧] – تاج العروس (١٢/ ٤٠١)

[٨] – الكليات، المؤلف: أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، أبو البقاء الحنفي (المتوفى: ١٠٩٤هـ)، المحقق: عدنان درويش – مُحَمَّد المصري، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، د.ت. (ص: ٥٧١)

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٤)، ص ص ٢٣١٧ - ٢٣٨١ (رجب ١٤٤١هـ / مارس ٢٠٢٠م)

وبتفصيل على هذا الاعتبار، يقال: الضمير هو: (ما وضع لمتكلم أو مخاطب أو غائب، فالذي للمتكلم أنا ونحن، وللمخاطب أنت وأنتم وأنتما وأنتم وأنتن، وللغائب هو وهي وهما وهم وهن، وكلها مبنية لشبهها بالحرف، ولأنها لا تصغر ولا تثنى ولا تجمع)[١٠].

وقد عبر عنه ابن مالك في الألفية التي في علم النحو، بقوله:

فما لِذي غَيبةٍ أو حضور ... كأنتَ وهْو سَمِّ بالضمير[١١]

وجاء في شرح الألفية: أن الضمير هو الموضوع لتعيين مسماه مشعرا بتكلُّمه أو خطابه أو غَيبته..، والحضور يشتمل التكلم والخطاب، وفيه إيهام إدخال اسم الإشارة[١٢].

وهذا معناه أن الضمائر على نوعين: ضمائر الحضور وضمائر الغيبة.

فضمائر الحضور وهي ما كانت للتكلم أو للخطاب أو للإشارة.

---

[٩] – انظر: المعجم الوسيط (١/ ٥٤٤)

[١٠] – اللباب في قواعد اللغة وآلات الأدب النحو والصرف والبلاغة والعروض واللغة والمثل، المؤلف: مُحَمَّد علي السَّراج، مراجعة: خير الدين شمسي باشان الناشر: دار الفكر – دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م، (ص: ٧٢).

[١١] – شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ابن عقيل، عبد الله بن عبد الرحمن العقيلي الهمداني المصري (المتوفى: ٧٦٩هـ)، المحقق: مُحَمَّد محيي الدين عبد الحميد، دار التراث - القاهرة، دار مصر للطباعة، سعيد جودة السحار وشركاه، الطبعة العشرون ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م . (١/ ٨٨).

[١٢] – توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك، المؤلف: أبو مُحَمَّد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن عليّ المرادي المصري المالكي (المتوفى: ٧٤٩هـ)، شرح وتحقيق: عبد الرحمن علي سليمان، أستاذ اللغويات في جامعة الأزهر، دار الفكر العربي، الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٨م. (١/ ٣٥٩).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٤)، ص ص ٢٣١٧ - ٢٣٨١ (رجب ١٤٤١هـ / مارس ٢٠٢٠م)

وضمائر الغيبة، وهي تكون شخصية أو موصولية. يقول الدكتور تمّام حسان: (والحضور قد يكون حضور تكلم كأنا ونحن، وقد يكون حضور خطاب كأنت وفروعها، أو حضور إشارة كهذه وفروعها، والغَيبة قد تكون شخصية كما في هُو وفروعه، وقد تكون موصولية كما في الذي وفروعه)[١٣].

والأصل أن دلالة الضمير المجرد إنما هي دلالة صَرفية عامة -كما يذكر الدكتور: تمام حسان-، أي أن دلالتها (وظيفية)، وهي الدلالة على عموم الحاضر أو الغائب، ولا تكون دلالة الضمير معجمية، بمعنى: أنه يدل على مسمى أو مُعيّن (خصوص الحاضر أو الغائب)، إلا بِضَميمة المرجع الذي يعود إليه الضمير[١٤].

وفي الحقيقة فإن الذي يهمنا من تعريفات الضمير في هذا البحث هو تعريف النُّحاة، وما يتوافق معه من المعاني اللغوية؛ لأن ذلك هو المتعلق بدلالات الضمير العائد الذي يتكلم عنه هذا البحث.

ثم يهمنا من دلالة الضمير العائد إلى القرآن الدلالة المعجمية الخاصّة، وهذا جُلّه في ضمائر الغيبة، وأما ضمائر الحضور: فلم يأت منها في موضوع البحث إلا ما كان للإشارة، وليس هناك ضمير خطاب أو تكلم يعود على القرآن، وضمير الموصولية جاء مرة واحدة فقط، فيما وجدته كباحث من خلال هذا البحث في آيات القرآن الكريم وذلك في قول الله تعالى: {وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاء وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلاَ يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إَلاَّ خَسَاراً} الإسراء:٨٢ .

---

[١٣] - اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان عمر، الناشر: عالم الكتب، الطبعة الخامسة ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م. (ص: ١٠٨).

[١٤] - انظر: اللغة العربية معناها ومبناها (ص: ١٠٨) و(ص: ١١١).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٤)، ص ص ٢٣١٧ - ٢٣٨١ (رجب ١٤٤١هـ / مارس ٢٠٢٠م)

الفرع الثاني: أهمية الضمير كقاعدة من قواعد التفسير:

الضمير في اللغة العربية أصل من أصول البناء والتركيب فيما يكتب أو يلفظ من جُمَل الكلام، ولا يمكن الاستغناء عنه أبدا، فهو ليس من فضلات الكلام التي يمكن الاستغناء عنها أو إقامة غيرها مقامها، والقرآن الكريم جاء جاريا على لغة العرب ونظامها، ولذلك نجد فيه ضمائر كثيرة استخدمها التعبير القرآني في سياقات مختلفة لأغراض عديدة.

وللضمائر قواعدها اللغوية التي استنبطها علماء اللغة من القرآن الكريم، ومن مصادر العربية الأصيلة، ومن الحديث النبوي، ومن كلام العرب الذين يُستشهد بكلامهم نظمًا ونثرًا، وقد ألَّف ابن الأنباري في بيان الضمائر الواقعة في القرآن مجلدين[١٥]، كما ذكر الزركشي وغيره، ولم أقف على هذا الكتاب فيما اطلعت عليه من المراجع والمصادر، وقد ذكره العلماء اسما فقط، من غير ذكر أمثلة أو اقتباس منه.. ولكن تأليف هذا الكتاب في وقت ابن الأنباري يشير إلى اهتمام العلماء بالضمائر في القرآن الكريم من زمن قديم؛ حيث خصت بالتأليف المنفرد، وإلا فإن كتب التفسير المعاصرة لابن الأنباري، كتفسير ابن جرير مثلا، مليئة بذكر وبيان الضمائر المستعملة في الجملة القرآنية مما يبرز أهميتها في التفسير والإيضاح، ونجد ذلك أيضا في كتب التفسير التي أُلفت في كل العصور إلى وقتنا الحاضر.. وكلما كان التفسير مهتما بالدلالات البيانية والبلاغية والإعراب نجده يبرز الاهتمام بالضمائر أكثر من غيره، في إطار اهتمامه بالدرس الدلالي عموما.

ونستطيع إدراك أهمية الضمير كقاعدة من قواعد تفسير القرآن الكريم من خلال استخراج ما قاله العلماء والمفسرون في ذلك، ومن خلال استنباط معاني الضمير ومفاهيمه في السياق القرآني وشرح المفسرين للآيات القرآنية التي يأتي فيها الضمير بأنواعه المختلفة. ويمكن هنا بيان أهمية الضمير كقاعدة من قواعد التفسير، من خلال نقطتين رئيستين:

---

[١٥] – البرهان في علوم القرآن، المؤلف: أبو عبد الله بدر الدين مُحَمَّد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفى: ٧٩٤هـ)، المحقق: مُحَمَّد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة: الأولى، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م، الناشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه (٤/ ٢٤).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٤)، ص ص ٢٣١٧ - ٢٣٨١ (رجب ١٤٤١هـ / مارس ٢٠٢٠م)

الأولى: قد يكون الضمير في جملته التي هو فيها فاعلا أو مفعولا أو مؤولا بمصدر أو غير ذلك من أركان الجملة، وهو يُفهِم دلالات ومعاني كثيرة لا يمكن الاستغناء عنها.. ولذلك كانت له أهمية كبيرة في التفسير.

الثانية: الأصل في الضمير أن يفيد معنىً صرفيا عاما، كما ذكرت سابقا، ولكنه في حال ارتباطه بسياق معين أو عودته على شيء معين فإنه يكون له معنىً خاصاً يدل عليه يتحدد بقرينة السياق أو غيره[١٦].

وقد يكون المعنى الذي يفيده الضمير في الجملة إما على جهة التوسيع لمعنى الجملة أو مفهومها أو لمعنى العائد إليه ملفوظا أو ملحوظا، وإما على جهة الترجيح لمعنى من المعاني التي يمكن أن تستفاد من الجملة والسياق أو من حال عودته على ما يعود عليه، وهذا ما سيتبين بأمثلة عديدة خلال البحث ومن هنا فإن معرفة قواعد التعامل مع الضمائر في القرآن الكريم لها أهمية كبيرة في التفسير والبيان، لتتم الاستفادة المثلى من الضمائر بحسب قواعد اللغة وأصولها.

وقبل أن أذكر قواعد الضمير في اللغة، فإني أعرّج على ذكر ملخص مختصر في بيان بعض المعاني التي يفيدها الضمير في سياقاته المختلفة، كما في النقاط التالية:

١- أصل وضْع الضمير للاختصار، فهو يُغني عن ذكر ألفاظ كثيرة، ويحل محلها مع سلامة المعنى وعدم التكرار، فمثلا في قوله تعالى: {إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ..)[الأحزاب: ٣٥]، قام الضمير (هم) في قوله تعالى: {أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا} مقام عشرين كلمة ذكرت قبله، وهي المسلمين والمسلمات...[١٧].

---

[١٦] . انظر: اللغة العربية معناها ومبناها (ص: ١١٠).

[١٧] – انظر: البرهان في علوم القرآن (٤/ ٢٤) .

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٤)، ص ص ٢٣١٧ - ٢٣٨١ (رجب ١٤٤١هـ / مارس ٢٠٢٠م)

٢. ويأتي الضمير لبيان فخامة شأن صاحبه العائد عليه، حيث يجعله لفرط شهرته كأنه يدل على نفسه ويكتفي عن اسمه الصريح بذكر شيء من صفاته، كقوله تعالى: {إنا أنزلناه في ليلة القدر} القدر:١، يعني القرآن، وقوله: {فإنه نزله على قلبك} البقرة:٩٧، ومنه ضمير الشأن وهو يذكر في مواضع عديدة[١٨]..

٣- ويأتي الضمير للتحقير، كقوله تعالى: (إنه لكم عدو مبين)، يعني الشيطان، وقوله: (إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم) وغيرها[١٩]..

٤- والضمير من وسائل ربط الجمل وتماسكها، ويأتي الربط به بصور عدّة، والربط لا يعتمد على مبنى واحد وإنما يتطلب عنصرين أو أكثر بين عناصر الجملة، فيصبح السياق سهل الفهم[٢٠]، وهذه من أهم فوائد الضمير في الجُمل.

ولا شكَّ أن الضمائر تقوم بدور مُهِمٍ في علاقة الربط، فعودها إلى مرجع يغني عن تكرار لفظ ما رجعت إليه، ومن هنا يؤدي إلى تماسك أطراف الجملة، ومن المعروف أن الضمير يعود مثلًا من جملة الخبر على المبتدأ، ومن جملة الحال على صاحب الحال، ومن جملة النعت على المنعوت، ومن جملة الصلة على الموصول، فيجعل الجملة في كل حالة من هذه واضحة الوظيفة غير معرضة للبس[٢١].

هذا جانب من أهمية الضمائر للتفسير، وقد وضع العلماء قواعد مهمة ينبغي معرفتها للمفسر أو لمن أراد أن يفهم القرآن الكريم ويتعامل معه، يتبين من خلالها أنواع الضمائر وصورها ومواقعها في الجمل ومراجعها التي تعود إليها واختصاصاتها.. إلى غير ذلك من القواعد التي وضعها العلماء للتعامل مع الضمائر وفهم وظائفها وعملها في سياقها. وقد اختصرت تلك القواعد في النقاط التالية:

---

[١٨] – انظر: البرهان في علوم القرآن (٤/ ٢٤).
[١٩] – انظر: البرهان في علوم القرآن (٤/ ٢٥).
[٢٠] . انظر: اجتهادات لغوية، د. تمام حسان، عالم الكتب، ط ٢٠٠٧م. (ص ٩٤، ٩٥).
[٢١] – اللغة العربية معناها ومبناها (ص: ١١٣).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٤)، ص ص ٢٣١٧ - ٢٣٨١ (رجب ١٤٤١هـ / مارس ٢٠٢٠م)

١. الأصل أن يعود الضمير إلى شيء سبق ذكره في اللفظ، وهذا هو الكثير الغالب، في مثل قول الله تبارك وتعالى: {وعصى آدم ربه فغوى}،وقول الله سبحانه {يستمعون القرآن فلما حضروه}[٢٢].

٢ـ المرجع الذي يعود إليه ضمير الغيبة يكون ملفوظًا به سابقًا عليه مطابقًا له –وهذا هو الكثير الغالب– كقوله تعالى: {وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ}، أو يكون ما سبق متضمنًا له، كقوله سبحانه وتعالى : {وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى}. فإن ضمير "هو" يعود على العدل الذي يتضمنه لفظ "اعدلوا" أي إن العدل أقرب للتقوى، أو دالًّا عليه بالتزام كقوله تعالى : {فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ}، فالضمير في "إليه" يعود على العافي الذي يستلزمه "عُفِيَ"[٢٣].

٣. قد يعود الضمير على مذكور في سياق الكلام، مؤخر في اللفظ مقدم في النية، كقوله تعالى: {فأوجس في نفسه خيفة موسى}، فموسى متأخر لفظًا لا رتبة، أو يكون متأخرا لفظًا ورتبة، كما في باب ضمير الشأن والقصة ونِعم وبئس كقوله تعالى: {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ}، وقوله: {فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أبصار الذين كفروا}.

وربما عاد الضمير على اللفظ دون المعنى، كقوله: {وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ}، فالضمير في "عمره" المراد به عمر معمّر آخر، قال الفراء: يريد آخر غير الأول، فكنى عنه بالضمير كأنه الأول[٢٤]، لأن لفظ الثاني لو ظهر كان كالأول، كأنه قال: ولا ينقص من عمر معمر، فالكناية في عمره ترجع إلى آخر غير الأول، ومثله قولك: عندي درهم ونصفه، أي: نصف درهم آخر.

---

[٢٢] – البرهان في علوم القرآن (٤/ ٢٥).

[٢٣] – مباحث في علوم القرآن لمناع القطان، مناع بن خليل القطان (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الطبعة الثالثة ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م. (ص: ١٩٩).

[٢٤] – معاني القرآن: ٣٦٨/٢.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٤)، ص ص ٢٣١٧ - ٢٣٨١ (رجب ١٤٤١هـ / مارس ٢٠٢٠م)

وربما عاد الضمير على المعنى فقط، كقوله تعالى: {يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلالَةِ إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ فَإِنْ كَانَتَا اثْنَتَيْنِ}، فالضمير في "كانتا" لم يتقدم لفظ تثنية يعود عليه، لأن الكلالة تقع على الواحد والاثنين والجمع، فثنى الضمير الراجع إليها حملًا على المعنى.

وقد يعود على ملابس ما هو له كقوله تعالى: {لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا}، أي ضحى يومها لا ضحى العشية، لأن العشية لا ضحى لها.

وقد يراعى في الضمير اللفظ أولًا، ثم المعنى ثانيًا، كقوله تعالى: {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ}، أفرد الضمير في "يقول" باعتبار لفظ "مِن" ثم جمع في "وما هم" باعتبار معناه.

وقد يدلّ عليه السياق فيضمر ثقة بفَهْمِ السامع، نحو: (كل مَنْ عليها فان)، (ما ترك على ظَهْرِها) ، أي الدنيا.

وقد يعود على لفظ شيء، والمراد به الجنس من ذلك الشيء، كقوله تعالى: (إنْ يكن غنيًّا أو فَقِيراً فالله أوْلَى بهما)، أي: بجنْس الفقير والغني، لدلالة غنياً أو فقيراً على الجنسين، ولو رجع إلى المتكلم به لوحَّده.

وقد يذكر شيئان ويعَاد الضمير إلى أحدهما، والغالب كونه الثاني، نحو قوله تعالى:(واستَعِينوا بالصبْر والصلاة وإنها لَكَبِيرة إلا على الْخَاشِعين). فأعِيد الضمير للصلاة، وقيل للاستعانة المفهومة من (استعينوا)، وكقوله سبحانه : (جعل الشمْسَ ضياءً والْقَمر نُورا وقَدَّرَه منازِلَ)، أي القمر، لأنه الذي يعلم به الشهور.

وقد يجيء الضمير متصلاً بشيء، وهو لغيره، كقول الله تعالى : (ولقد خلَقْنَا الإنسانَ من سُلاَلَةٍ من طين)، يعني آدَم، ثم قال: (ثم جعَلْنَاهُ نُطفَةً)، فهذا لولده، لأن آدَم لم يخلق من نُطْفة.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٤)، ص ص ٢٣١٧ - ٢٣٨١ (رجب ١٤٤١هـ / مارس ٢٠٢٠م)

وقد يعود على غير مشاهَدٍ محسوس، والأصلُ خلافه، نحو قول الحق سبحانه: (إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ)، فضمير له عائد على الأمر، وهو إذ ذاك غَيْر موجود، ولكن لأنه لما كان سابقا في عِلْمِ الله كونه كان بمنزلة المشاهد الموجود[٢٥]،وهو بمثابة المتحقق الموجود .

٤. الأصلُ عَوْد الضمير على أقرب مذكور، وقد يعود لأقرب مضاف أو مضاف إليه، وقد يعود إلى البعيد بقرينةٍ دالَّةٍ عليه، كقوله سبحانه: {آمِنوا بالله ورسوله وأنفِقوا مِمّا جعلَكُم مُستخلَفينَ فيه}، فالضميرُ المستترُ في "جعلكم" عائدٌ إلى الله، لا إلى الرسول[٢٦].

٥. الأصل توافق الضمائر في المرجع حذَراً من التشتّت، وقد يخرج عن هذا الأصل، كما في قوله: (ولا تسْتَفْتِ فيهم منهم أَحَداً)، فإنَّ ضمير (فيهم) لأصحاب الكهف (ومنهم) لليهود، قاله ثعلب والمبرد[٢٧].

٦. الضمائر جميعا من المبنيات التي لا تظهر عليها حركات الإعراب.

٧. الضمائر جميعا مفتقرة إلى القرائن باعتبارها شرطا أساسيا لدلالتها على معين[٢٨].

---

[٢٥] – انظر: البرهان في علوم القرآن (٤/ ٢٥)، معترك الأقران في إعجاز القرآن (٣/ ٤٦٣ وما بعدها) ومباحث في علوم القرآن لمناع القطان (ص: ٢٠٠).. (باختصار).

[٢٦] – معترك الأقران في إعجاز القرآن، ويُسمَّى (إعجاز القرآن ومعترك الأقران)، المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت — لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م. (٣/ ٤٦٦) وجامع الدروس العربية، مصطفى بن محمد سليم الغلاييني (المتوفى: ١٣٦٤هـ)، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا — بيروت، الطبعة: الثامنة والعشرون، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م. (١/ ١٢٥).

[٢٧] – معترك الأقران في إعجاز القرآن (٣/ ٤٦٦).

[٢٨] – اللغة العربية معناها ومبناها (ص: ١١٠) باختصار.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٤)، ص ص ٢٣١٧ - ٢٣٨١ (رجب ١٤٤١هـ / مارس ٢٠٢٠م)

٨- تحديد دلالة الظاهر قرينة لفظية تعيّن الإبهام الذي هو في الضمير بالوضع؛ لأن معنى الضمير عمومي وهو الحضور أو الغَيبة بإطلاق، فلا يدل دلالة معجمية إلّا بضميمة المرجع، فبواسطة المرجع يمكن أن يدل الضمير على مُعين[٢٩].

٩. الضَّمِير معرفَة، ولم يجز أَن يَقع إِلَّا بَين معرفتين، أَو مَا قاربهما، إِذْ كَانَ قد دخل ليبين مَا قبله وَمَا بعده، فَوَجَبَ أَن يكون مَا قبله وَمَا بعده مجانسا لَهُ، فلا يجوز أَن يكون مَا قبله وَمَا بعده نكرَة مَحْضَة، وَلَا أَحدهمَا[٣٠].

١٠- الضَّميرُ قائمٌ مقامَ الاسمِ الظاهر، والغرَضُ من الإتيان بِه هو الاختصارُ، والضمير المتصلُ أخصرُ من الضمير المنفصل[٣١].

١١. معنى الضمير هو معنى مرجعه تمامًا[٣٢].

١٢.كل اسم سبقه ضمير حاضر من متكلم أو مخاطب يجوز فيه وجهان، أولهما: مراعاة الضمير السابق، وثانيهما مراعاة الاسم الظاهر، تقول: أنا رجل أفعل كذا، مراعاة للضمير «أنا»، وان شئت قلت: يفعل كذا، مراعاة لرجل[٣٣].

هذه مجمل القواعد التي تبين كيفية التعامل مع الضمائر في القرآن الكريم واللغة العربية، من أجل فهم السياقات القرآنية التي فيها ضمائر متنوعة. وهي التي طبقها المفسرون في شرح وبيان الضمائر الواردة في كلام الله تعالى، وسيتم استصحابها في بيان الضمير العائد على لفظ (القرآن وقرآن) في النص القرآني الكريم من خلال الأمثلة التي سأذكرها.

---

[٢٩] - اللغة العربية معناها ومبناها (ص: ١١١) باختصار.

[٣٠] - علل النحو، مُحَمَّد بن عبد الله بن العباس، أبو الحسن، ابن الوراق (المتوفى: ٣٨١هـ)، المحقق: محمود جاسم مُحَمَّد الدرويش، الناشر: مكتبة الرشد - الرياض / السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩م. (ص: ٤٢٢).

[٣١] - جامع الدروس العربية (١/ ١٢٠).

[٣٢] - النحو الوافي، عباس حسن (المتوفى: ١٣٩٨هـ)، دار المعارف، الطبعة الخامسة عشرة، د. ت. (١/ ٤٢٣)

[٣٣] - إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش (المتوفى: ١٤٠٣هـ)، دار الإرشاد للشئون الجامعية - حمص - سورية، (دار اليمامة - دمشق - بيروت)، (دار ابن كثير - دمشق - بيروت)، الطبعة الرابعة، ١٤١٥ هـ. (٣/ ٣٧٧).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٤)، ص ص ٢٣١٧ - ٢٣٨١ (رجب ١٤٤١هـ / مارس ٢٠٢٠م)

وقد توخيتُ فيما ذكرت من قواعد الضمير النقل عن علماء الفن باختصار غير مخل من المراجع المعتمدة في هذا الباب، ورأيت أن أبقي على الكثير من عبارات العلماء نظرا لنفعها وفوائدها الكثيرة.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٤)، ص ص ٢٣١٧ - ٢٣٨١ (رجب ١٤٤١هـ / مارس ٢٠٢٠م)

المبحث الأول: الضمير العائد إلى القرآن الكريم وأثره في اتساع المعنى:

تمهيد:

سبق ذكر أن الضمير في الأصل له دلالة عامة (وظيفية)، وهي الدلالة على عموم الحضور أو الغياب، ولا تكون دلالة الضمير معجمية إلا بضميمة المرجع الذي يعود إليه الضمير[٣٤]، وعندئذ يصير للضمير تأثير دلالي مؤكد يتضح بالسياق أو بقرائن أخرى.

وبالنظر في الضمير العائد إلى القرآن نجد أن له تأثيرا دلاليا متنوعا، على مستوى اتساع المعنى أو على مستوى الترجيح، وفي هذا المبحث سأبين تأثيره على مستوى اتساع المعنى، وفي المبحث التالي سأبين تأثيره في الترجيح، وبين المبحثين ترابط بحيث قد يكون الشاهد الواحد شاهدا للمبحثين بفارق اختلاف التوجيه.

وبتتبع آيات القرآن الكريم الشاهدة لهذا نجد أن الضمير العائد إلى القرآن يؤثر في اتساع المعنى من عدة جهات:

فهو يؤثر في إبراز دلالةٍ تعرف من خلال السياق، أو في توسيع دلالة لتشمل ما هو من جنسها، أو يعطي دلالة التفخيم أو التعظيم أو التنويه أو التأكيد، للمجاز أو للكناية أو للحقيقة أو لحكم أو شأن معين، أو حتى الإشارة إلى التكذيب أو الاحتقار- في سياق كلام الكفار عنه مثلا-، إلى غير ذلك من المعاني العمومية التي ستظهر تأثيراتها الخاصة المباشرة على المعاني في الأمثلة التي سنذكرها، وهذا بالإضافة إلى الدلالة الأصلية للضمير، والتي هي مطلق الحضور أو الغياب، أو الإشارة إلى كونه مغيَّبا عند البعض أو غائبا عنهم بالخصوص، بحسب مقتضى السياق. وقد تبين لي من خلال البحث في آيات القرآن الكريم أن الضمير العائد إلى القرآن يشتمل على الدلالات التوسعية التالية[٣٥] وسوف نعالج ذلك من خلال المطالب الآتية:

---

[٣٤] - انظر: اللغة العربية معناها ومبناها (ص: ١٠٨) و(ص: ١١١).

[٣٥] - سأذكرها من غير قصد إلى الترتيب على نمط معين..

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٤)، ص ص ٢٣١٧ - ٢٣٨١ (رجب ١٤٤١هـ / مارس ٢٠٢٠م)

المطلب الأول: دلالة الضمير العائد إلى القرآن على أن القليل من القرآن أو الكثير أو الجزء منه يسمى قرآناً:

فمن أمثلة دلالة الضمير الدال على هذا المعنى، ما هو في قوله تعالى: (وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِن قُرْآنٍ وَلاَ تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلاَّ كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُوداً إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ)[يونس:٦١]. فالضمائر في هذه الآية لها دلالات عديدة، فالضمير في قوله: (وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِن قُرْآنٍ) عائد إلى القرآن، والتقدير: وما تتلو من القرآن من قرآن، وذلك لأنه كما أن القرآن اسم للمجموع، فكذلك هو اسم لكل جزء من أجزاء القرآن، فكأنه قال: وما تتلوا من كتاب الله من قرآن[٣٦].

ومن أمثلة ذلك أيضا، ما جاء في قوله تعالى: (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) يوسف:٢. فقد قال المفسرون في ضمير (أنزلناه) أنه يعود على الكتاب (القرآن) وجاء عن الزجاج: أنه يعود على خبر يوسف وقصته[٣٧]، وذلك جزء من القرآن الكريم. وهذا يدل للمعنى الذي ذكرته.

وهذا المعنى أيضا قد يستفاد من ضمير الإشارة العائد إلى القرآن، فمن دلالات الإشارة إلى القرآن بيان أن الآيات التي تكون الإشارة في سياقها وخوطب بها المخاطبون عند نزولها تسمى قرآنا، وهذا من إطلاق اسم القرآن على القليل والكثير منه.. وكأن الإشارة إلى القرآن تقول: هذا القرآن الذي أمامكم أو سمعتموه، فقد يعني كل القرآن أو ما خوطبوا به آنذاك، كما في قوله تعالى: (وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَـذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاء نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ) يونس:١٥.

---

[٣٦] – انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، المؤلف: مُحَمَّد بن جرير بن يزيد بن كثير، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، المحقق: أحمد مُحَمَّد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م. (١١٤/١٥) والكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي — بيروت، الطبعة الثالثة - ١٤٠٧ هـ. (٢/ ٣٥٤) ومفاتيح الغيب، الإمام فخر الدين الرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة: ١٤٢٠ هـ. (١٧/ ٢٧٣)، .

[٣٧] – انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (المتوفى: ٣١١هـ)، المحقق: عبد الجليل عبده شلبي، الناشر: عالم الكتب — بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م. (٣/ ٨٧).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٤)، ص ص ٢٣١٧ - ٢٣٨١ (رجب ١٤٤١هـ / مارس ٢٠٢٠م)

فقولهم في الآية: (ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ)، يعنون به القرآن الذي كان قد نزل إلى ذلك الوقت، أو الآيات التي نزلت على موقف معين وهم يستاؤون منه أو يسيء إليهم، وقد يعنون به القرآن كله.. والضمير في اسم الإشارة (هذا) يشير لذلك.

قيل إن الضمير في (بدّله) يعود على اسم الإشارة (هذا) وهو مبهم قد يعني القرآن الذي كان قد نزل وأشاروا إليه؛ لأنه هو الذي قد عرفوه إلى ذلك الحين، أو يكون قصدهم آيات محددة تكلمت بأمر لا يحبذونه مثلا، ولا يمنع أن يقصدوا جنس القرآن، كما قد يفيده اسم الإشارة الدال على الإجمال(٣٨).

وقد أشار إلى هذا المعنى أيضا صاحب تفسير المنار فقال: الأظهر في سبب قولهم (هذا) أنه – صلى الله عليه وسلم – بلّغهم أن هذا القرآن من عند الله أوحاه إليه لينذرهم به، وتحداهم بالإتيان بمثله أو بسورة من مثله — أي من جنسه– فعجزوا، وكانوا في ريب من كونه وحيا من الله لبشر مثلهم...، فأرادوا أن يمتحنوه بمطالبته بالإتيان بقرآن غيره في جملة ما بلغهم من سوره في أسلوبها ونظمها ودعوتها، أو بالتصرف فيه بالتغيير والتبديل لما يكرهونه منه(٣٩).

وأكد هذا المعنى الشيخ الشعراوي بقوله: (وهم قد طلبوا حذف الآيات التي تهزأ بالأصنام، وكذلك الآيات التي تتوعدهم بسوء المصير)(٤٠).

فهذا كله توسع دلالي دعا إليه الإجمال في الإشارة إلى القرآن في الآية. ويأتي تبعا لهذا قول من قال أن القصد هو تبديل القرآن كله، وذلك لأنه معجز لهم فطلبوا معجزة غير معجزة القرآن، فقالوا: (ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ)، (ففي التغيير تسليم بأن المعجزة تكون قرآنا ولكن يريدون غيره، أما التبديل فهو يكون بإتيان معجزة عدا القرآن ... هذا فيما نحسب هو التبديل الذي أرادوه بأن يستبدل المعجزة القرآنية بمعجزة حسية مادية.. ويؤيد هذا أن الرد كان على التبديل..،

---

(٣٨) – انظر: التحرير والتنوير، مُحَمَّد الطاهر ابن عاشور التونسي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م. (١١/ ١١٦).

(٣٩) – انظر: تفسير المنار، تفسير القرآن الحكيم، مُحَمَّد رشيد رضا (المتوفى: ١٣٥٤هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠ م. (١١/ ٢٦١) باختصار.

(٤٠) – تفسير الشعراوي (الخواطر)، مُحَمَّد متولي الشعراوي (المتوفى: ١٤١٨هـ) نشر عام ١٩٩٧ م. (١٠/ ٥٨٠١).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٤)، ص ص ٢٣١٧ - ٢٣٨١ (رجب ١٤٤١هـ / مارس ٢٠٢٠م)

وإغفال طلب الإتيان بقرآن غير هذا لاعتباره كلاما عابثا؛ إذ ما داموا قد سلموا بالمعجزة القرآنية، فلا فرق بين قرآن وقرآن، ما داموا قد عجزوا عن الإتيان بمثله. أو يكون التبديل للمعجزة يشمل تغيير القرآن والإتيان بمعجزة أخرى فكان الرد على التبديل شاملا[٤١].

وهذا الكلام مخالف لما قاله عامة المفسرين، الذين أشرت إليهم سابقا، ولكنه يبين أن الضمير العائد يمكن أن يعني القرآن كله، بحسب ما ذكره في معنى التبديل.

والآيات في هذا كثيرة، كقوله تعالى: {ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ} ص:١. وقوله تعالى: {وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ} الزمر:٢٧. وقوله تعالى: {وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَن يُفْتَرَى مِن دُونِ اللهِ} يونس:٣٧.. ومن هذا أيضا قوله تعالى: {لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُّتَصَدِّعاً مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ} الحشر:٢١. فضمير الإشارة العائد على القرآن (هذا، تلك) فيه معنى الحضور والقرْب أيضا، ففي قوله: (هذا القرآن) إشارة إلى المقدار الذي نزل منه، وهو ما عرفوه وتلوه وسمعوا تلاوته، وفائدة الإتيان باسم إشارة القريب التعريض لهم بأن القرآن غير بعيد عنهم. وأنه في متناولهم ولا كلفة عليهم في تدبره ولكنهم قصدوا الإعراض عنه)[٤٢]. وهذا هو ما أعنيه بأن الضمير فيه دلالة على إطلاق اسم القرآن على قليله وكثيره، وفي ذلك معنى الحضور أيضا. وسيأتي في ضمير الإشارة معنى آخر أيضا.

ومما جاء فيه دلالة إطلاق القرآن على جزء منه، قوله تعالى: {فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ} النحل:٩٨، فالقصد مقدارا من القرآن وهو الذي سيقرأه في ذلك المجلس، أو أن الاستعاذة أمر يقوم به عندما يقرأ أي

---

[٤١] – زهرة التفاسير، المؤلف: مُحَمَّد بن أحمد بن مصطفى المعروف بأبي زهرة (المتوفى: ١٣٩٤هـ)، دار النشر: دار الفكر العربي، د.ت. (٧/ ٣٥٣٣). ومن غرائب ومفارقات مفسري الشيعة أنهم يقولون إن جملة (ائت بقرآن غير هذا) عنت طلب قريش الإتيان بقرآن لا يذكر إمامة علي للمسلمين ويذكر شخصا بديلا عنه، وتبدو شدة المفارقة إذا لوحظ أن الآية مكية وسياقها في صدد التنديد بالمشركين وسخف شركهم وحالة الضعف والقلة في المسلمين وكون عليا ما يزال صبيا. انظر: التفسير الحديث، مُحَمَّد عزت دروزة، دار إحياء الكتب العربية القاهرة، ١٣٨٣ هـ. (٣/ ٤٥٣).

[٤٢] – التحرير والتنوير (٢٨/ ١١٦).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٤)، ص ص ٢٣١٧ - ٢٣٨١ (رجب ١٤٤١هـ / مارس ٢٠٢٠م)

قِسم من القرآن، ومثله قوله تعالى: {وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ حِجَاباً مَّسْتُوراً} الإسراء:٤٥.. وغيرها.. ودلالة هذه الآيات واضحة.

المطلب الثاني: دلالة الضمير العائد إلى القرآن على معنىً خاص لا يظهر بدون الضمير:

ومن ذلك ما جاء عن أهل التفسير من بيان دلالة الضمائر في قوله تعالى: (ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَـذَا أَوْ بَدِّلْهُ) يونس: ١٥. ففيه معان تبين صفة التبديل التي طلبوها، وتبين معنى التبديل الذي قصدوه. يقول أبو حيان: (والتبديل يكون في الذات، بأن يجعل بدل ذاتٍ ذاتاً أخرى، ويكون في الصفة. والتبديل هنا هو في الصفة، وهو أن يزال بعض نظمه بأن يجعل مكان آية العذاب آية الرحمة، ولا يراد بالتبديل هنا أن يكون في الذات، لأنه يلزم جعل الشيء المقتضي للتغاير هو الشيء بعينه، لأن التبديل في الذات هو الإتيان بقرآن غير هذا.)[٤٣].

المطلب الثالث: دلالة الضمير العائد إلى القرآن على معان مختلفة:

ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى: (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) يوسف:٢. فقد اختلف المفسرون في ضمير (أنزلناه) على ماذا يعود؟ فقيل: يعود على الكتاب المذكور سابقا في الآية السابقة، فيكون (قرآناً) حالاً من الكتاب[٤٤]،المذكور في قول الله تعالى (تلك آيات المبين) ،ويكون معنى (قُرْآنًا): مجموع[٤٥]. وقيل: يعود على الكتاب –

---

[٤٣] – البحر المحيط في التفسير، أبو حيان مُحَمَّد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ)، المحقق: صدقي مُحَمَّد جميل، دار الفكر – بيروت، طبعة: ١٤٢٠ هـ. (٦/ ٢٣) وانظر: مفاتيح الغيب (١٧/ ٢٢٤) والدر المصون في علوم الكتاب المكنون، المؤلف: أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي (المتوفى: ٧٥٦هـ، المحقق: أحمد الخراط، الناشر: دار القلم، دمشق، د.ت. (٦/ ١٦٣).

[٤٤] – انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، المؤلف: أبو مُحَمَّد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ)، المحقق: عبد السلام مُحَمَّد، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٢٢ هـ. (٣/ ٢١٨) وإعراب القرآن وبيانه (٤/ ٤٤٩).

[٤٥] – انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/ ٨٧).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٤)، ص ص ٢٣١٧ - ٢٣٨١ (رجب ١٤٤١هـ / مارس ٢٠٢٠م)

أيضا-، ويكون (قرآناً) حالا من الضمير في أنزلناه، والمعنى: أنزلناه كتابا يُقرأ، أي أنه معد ليقرأ[٤٦]. وقيل: يعود على الكتاب، (وقرآناً) بدل من الضمير في (أنزلناه)[٤٧]، فالحال تأسيس معنى جديد، والبدل وعطف البيان ليس فيها توسيع للمعنى بل تأكيد لمعنى سابق .وقيل: (قُرْآناً) مفعول به، والضمير في (أَنْزَلْنَاهُ) ضمير المصدر، أي يعود على قرآن، وكأن القصد هنا أنه ضمير الشأن. وجوَّز أبو البقاء العكبري في التبيان: أن يكون (عربيا) حالاً من الضمير في: (قُرْآناً) الذي هو في موضع المفعول، إذا تحمَّل ضميراً، يعنى: إذا جعلناهُ حالاً مؤولاً بمشتقٍ، فيكون المعنى: أنزَلنَاه مُجْتمعاً في حال كونهِ عَربيًّا[٤٨].وقيل: الضمير في (أَنْزَلْناهُ) يراد به خبر يوسف[٤٩]. وهو بعيد .

وبالنظر في هذا الخلاف نجد أن ثمرته تصب في أن الضمير العائد أفاد توسيع المعنى في غالب الأقوال المذكورة. فقد أفاد معنى: أن القرآن يُقرأ وأنه مجموع أو نزل مجتمعا إلى السماء الدنيا، بالإضافة إلى كونه مكتوبا، أي يكتَب. وهذا بعكس القول بأن الضمير بدل من قرآن أو عائد على قصة يوسف عليه السلام، ذلك أنه في هذين الحالين يكون في الضمير قصْر للمعنى وتحديد له، وهو لا شك من أثر الضمير العائد في المعنى، ولكنه ليس للتوسيع.

ومن احتمال عدة دلالات في نفس الوقت بسبب عود الضمير، ما في قوله تعالى: {وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ} يس:٦٩. فالضمير في قوله (إن هو..) اختلف المفسرون في عوده:

فقال بعضهم: يعود على مُحَمَّد ﷺ، والمعنى: ما مُحَمَّد إلا ذكر لكم أيها الناس، ذكركم الله بإرساله إياه إليكم، ونبهكم به على حظكم، (وَقُرْآنٍ مُبِينٍ) يقول: وهذا الذي جاءكم به مُحَمَّد قرآن مبين)[٥٠].

---

[٤٦] – انظر: التحرير والتنوير (١٢/ ٢٠١).

[٤٧] – اللباب في علوم الكتاب، المؤلف: أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (المتوفى: ٧٧٥هـ)، المحقق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي مُحَمَّد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ -١٩٩٨م. (١١/ ٤) وإعراب القرآن وبيانه (٤/ ٤٤٩).

[٤٨] – انظر: اللباب في علوم الكتاب (١١/ ٤).

[٤٩] – انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/ ٨٧).

[٥٠] – جامع البيان (٢٠/ ٥٤٩).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٤)، ص ص ٢٣١٧ - ٢٣٨١ (رجب ١٤٤١هـ / مارس ٢٠٢٠م)

وقال بعضهم: الضمير يعود على القرآن، والمعنى: أن القرآن ذكْر لله أو تذكير للناس أو شرف لهم، وليس الذي علمناه إياه إلا ذكرا وقرآنا وما هو بشعر[٥١]. ومن هذا قوله تعالى: {قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ} الأنعام:٩٠.والظاهر أن الضمير في (إن هو) يحتمل العود على القرآن وعلى الرسول ﷺ، ودليل ذلك من وجوه:

الأول: أن السياق يحتمل الكلام عليهما معا، فالكلام عن العِلم والمتعلم.

والثاني: أن الآية التالية وهي قوله: {لِيُنذِرَ مَن كَانَ حَيّاً} يس:٧٠. فيها قراءات في: (ليُنذِر)، فقراءة العامة بضم الياء وكسر الذال المعجمة، وهناك قراءة بتاء الخطاب بنفس الشكل للنبي ﷺ (لتُنذِر)[٥٢]، وهناك قراءة بضم الياء وفتح الذال، على البناء للمفعول، وهناك قراءة بفتح الياء والذال، على البناء للفاعل، بمعنى يصل إليه الإنذار، وفي هذه القراءات يتضح احتمال عود الضمير في (لينذر) على القرآن وعلى الرسول ﷺ[٥٣]، فالكلام يتبع السياق نفسه والضمير في (لينذر) على القراءات يحتمل الدلالتين معا.

والثالث: أن هناك آيات أخرى في القرآن الكريم تؤكد نفس المدلول في القرآن وفي النبي، فمما يؤكد أن المعني بالإنذار هو القرآن، قوله تعالى: {وَمِن قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَاماً وَرَحْمَةً وَهَذَا كِتَابٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَاناً عَرَبِيّاً لِّيُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَى لِلْمُحْسِنِينَ} الأحقاف:١٢، فالواضح هنا أن الضمير في (لينذر) يعود على الكتاب الذي هو القرآن.

ومما يؤكد احتمال أن المعني بالإنذار هو النبي ﷺ، قوله تعالى: {رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ} غافر:١٥. فالواضح أن الضمير في (لينذر) هنا عائد على واحد العباد، والمقصود رسول أو نبي. وهناك آيات أخرى، ومقصدنا الاستشهاد.

---

[٥١] – التسهيل لعلوم التنزيل، المؤلف: مُحَمَّد بن أحمد ابن جزي الكلبي (المتوفى: ٧٤١هـ)، المحقق: عبد الله الخالدي، الناشر: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم — بيروت، الطبعة الأولى - ١٤١٦ هـ. (٢/ ١٨٦) والتحرير والتنوير (٢٣/ ٥٧) .

[٥٢] – والقراءتان متواترتان، انظر: الكنز في القراءات العشر: (٦٢١/٢)، المؤلف: أبو مُحَمَّد، عبد الله بن عبد المؤمن الواسطيّ (المتوفى: ٧٤١هـ)، المحقق: د. خالد المشهداني، الناشر: مكتبة الثقافة الدينية — القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م

[٥٣] – انظر: البحر المحيط في التفسير (٩/ ٨١).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٤)، ص ص ٢٣١٧ - ٢٣٨١ (رجب ١٤٤١هـ / مارس ٢٠٢٠م)

وهذا الاحتمال للدلالات كلها معاً من أثر الضمير العائد على القرآن في توسيع المعنى.

ومن توسيع الضمير للمعنى باقتضاء دلالات وأبعاد عِدة، ما جاء في قوله تعالى: {وَمَا كَانَ هَـذَا الْقُرْآنُ أَن يُفْتَرَى مِن دُونِ اللهِ وَلَـكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لاَ رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ} يونس:٣٧. ففي الآية عدة ضمائر يحتمل عودها إلى القرآن الكريم، وهي في: (بين يديه، تفصيل الكتاب، لاريب فيه)، وفي عودها إلى القرآن دلالات في توسيع المعنى. ففي قوله: (وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ) ضميران، أحدهما في (تصديقُ) على قراءة الرفع، والتقدير (ولكن هو تصديقُ)، فيكون (تصديقُ) خبرا لمبتدأ محذوف تقديره هو[٥٤]، وفي هذه الحال يكون الضمير للشأن، وهو يدل على التنويه بالقرآن والتعظيم لشأنه.

والضمير الآخر في: (بَيْنَ يَدَيْهِ) اختلفوا في عوده وفي دلالته على أقوال:

أحدها: أنه يعود على ما قبل القرآن من الأنباء، والمعنى: القرآن تصديقٌ لأنباء الأمَمِ السالفة وأقاصيص أنْبائِهِم وكتبهم، فهو بين يديها[٥٥].وثانيها: أن الضمير إلى القرآن، والمعنى: القرآن تصديق الشيء الذي تقدّمَه القرآنُ، أي البعث والنشور، فهو بين يدي القرآن[٥٦].وثالثها: أن الضمير يعود على النبي، والمعنى: ولكن تصديق النبي بين يدي القرآن وهو مُحَمَّد صلى الله عليه وسلم، لأنهم شاهدوه قبل أن يسمعوا منه القرآن[٥٧].

---

[٥٤] – البحر المحيط في التفسير (٦/ ٥٧).

[٥٥] – معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/ ٢٠) والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٣/ ١٢٠).

[٥٦] – معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/ ٢٠).

[٥٧] – تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن)، أبو عبد الله مُحَمَّد بن أحمد القرطبي، ت: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٨٤هـ. (٨/ ٣٤٤) وفتحُ البيان في مقاصد القرآن، المؤلف: أبو الطيب مُحَمَّد صديق خان بن حسن الحسيني القِنَّوجي (المتوفى: ١٣٠٧هـ)، عني بطبعهِ وقدّم له وراجعه: عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري، المكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، صَيدَا، ١٤١٢هـ (٦/ ٦٣).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٤)، ص ص ٢٣١٧ - ٢٣٨١ (رجب ١٤٤١هـ / مارس ٢٠٢٠م)

فهذه المعاني كلها يدل عليها الضمير العائد في قوله (بين يديه)، وذلك من توسيع المعنى، حيث دل على كل تلك المعاني، أي أن القرآن تصديق للكتب السابقة وما فيها من أخبار، ولنبوة مُحَمَّد ﷺ ولأشراط الساعة، ولكل هذه المعاني أدلة من آيات أخرى لا يسع المجال لذكرها.

وفي قوله: (وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ) فيه ثلاثة ضمائر: الأول: في قوله: (وتفصيل) بالرفع كما في تصديق[٥٨]، على تقدير (وهو تفصيلُ) فتكون هذه الجملة الاسمية وصفا ثانيا إلى القرآن. والضمير ضمير الشأن للتعظيم والتنويه، وفي الجملة الاسمية ثبات للصفة في الموصوف، كما هو معلوم. والثاني: قبل قوله: (لاريب فيه)، فجملة: (لا ريب فيه) مستأنفة ردّت مزاعم الذين زعموا أنه مفترى[٥٩]، أي أنّ (لاريب) خبر عن مبتدأ محذوف هو ضمير يعود على القرآن تقديره (وهو لا ريب فيه)، والجملة كلها خبر للمبتدأ في الجملة التي قبلها[٦٠]. وفي هذا إثبات صفة أخرى إلى القرآن. والثالث: هو ضمير (فيه) من قوله: (لَا رَيْبَ فِيهِ): يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ حَالًا مِنَ الْكِتَابِ، أي الكتاب لا ريب فيه، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مُسْتَأْنَفًا[٦١]، أي يكون الضمير في (فيه) عائد إلى القرآن المذكور سابقا.. فهو وصف آخر له، وقد أكد عود الضمير في (فيه) إلى القرآن جماعة من المفسرين[٦٢]، وبهذا تترابط الجملة وتتماسك بعود الضمائر على جهة واحدة.

وفي قوله: (من رب العالمين)، قيل يحتمل فيه وجود ضمير قبله، تقديره (وهو من رب العالمين)، فالأظهر أن جملة (من رب العالمين) أنها ظرف مستقر في موضع الخبر عن مبتدأ محذوف هو ضمير القرآن، والجملة استئناف ثان، و (من)

---

[٥٨] – انظر: تفسير القرطبي (٨/ ٣٤٤).

[٥٩] – التحرير والتنوير (١١/ ١٦٩).

[٦٠] – انظر: محاسن التأويل، المؤلف: مُحَمَّد جمال الدين بن مُحَمَّد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: ١٣٣٢هـ)، المحقق: مُحَمَّد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٨ هـ. (٦/ ٢٦).

[٦١] – انظر: التبيان في إعراب القرآن، أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري (المتوفى: ٦١٦هـ)، المحقق: علي مُحَمَّد البجاوي، الناشر: عيسى البابي الحلبي وشركاه. (٢/ ٦٧٥).

[٦٢] – انظر: تفسير القرطبي (٨/ ٣٤٤) وفتح البيان في مقاصد القرآن (٦/ ٦٣)

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٤)، ص ص ٢٣١٧ - ٢٣٨١ (رجب ١٤٤١هـ / مارس ٢٠٢٠م)

ابتدائية تؤذن بالمجيء، أي هو وارد من رب العالمين، أي من وحيه وكلامه، وهذا مقابل قوله: (من دون الله)[٦٣]. وفي هذا دلالة على مصدر القرآن أنه من الله، ورد على من شكك في ذلك، وهذا وصف آخر يزيد من عظمة القرآن وفخامته، وهذا بخلاف ما لو قلنا إن (من رب العالمين) متعلقة بتصديق وتفصيل، كما ذكر الزمخشري[٦٤]، إذ المعنى يكون حينئذ: تصديق الكتاب وتفصيله كائن من رب العالمين، وفي هذا اقتصار على جانب من الدلالات.

والباحث يلفت نظره إلى هذه الضمائر بعودتها إلى القرآن كيف دلت على هذه المعاني كلها.

ومثل هذا، ما في قوله تعالى: {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن نُّؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ} سبأ:٣١. فالضمير في (بين يديه) يعود على القرآن وليس في ذلك إشكال؛ وإنما اختلف أهل العلم خلاف في تعيين المراد بالذي بين يدي القرآن؟ فقال قوم: حُكيت في هذه الآية مقالة قالها بعض قريش وهي أنهم لا يؤمنون بالقرآن ولا بما بين يديه من التوراة والإنجيل والزبور فكأنهم كذبوا بجميع كتب الله، وإنما فعلوا هذا لما وقع الاحتجاج عليهم بما في التوراة من أمر مُحَمَّد صلى الله عليه وسلم[٦٥]. وقال آخرون: (الذي بين يديه) هي الساعة والقيامة، وخطّأه ابن عطية في تفسيره[٦٦]. وقال قوم: يحتمل أن يكون المراد بالذين كفروا العموم ويكون المراد بقوله: {القرآن وَلاَ بالذي بَيْنَ يَدَيْهِ} أن لا نؤمن بالقرآن أنه من الله (ولاَ بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ) أي ولا بما فيه من الإخبارات والآيات والدلائل وذلك لأن أهل الكتاب لم يؤمنوا بالقرآن أنَّه من الله ولا بالذي فيه من الرِّسالة وتفاصيل الحشر[٦٧].

ومن هذا الباب: اقتضاء الضمير العائد لدلالات عدة تنوه بشأن القرآن، ما في قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاء لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ، قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ

---

[٦٣] – التحرير والتنوير (١١/١٦٩).
[٦٤] – انظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٢/ ٣٤٧).
[٦٥] – المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٤٢٠) واللباب في علوم الكتاب (١٦/ ٦٧).
[٦٦] – المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٤٢٠).
[٦٧] – اللباب في علوم الكتاب (١٦/ ٦٧).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٤)، ص ص ٢٣١٧ - ٢٣٨١ (رجب ١٤٤١هـ / مارس ٢٠٢٠م)

مِمَّا يَجْمَعُونَ} يونس:٥٧، ٥٨. فهذا الخطاب استئناف أو اعتراض، يجوز أن يكون لابتداء غرض جديد وهو خطاب جميع الناس بالتعريف بشأن القرآن وهديه، بعد أن كان الكلام في جدال المشركين والاحتجاج عليهم بإعجاز القرآن على أنه من عند الله[٦٨]. والمعنى المستفاد من كون الكلام عن القرآن، هو في إثبات هذه المقتضيات العظيمة إلى القرآن الكريم، وفي بيان عظيم نفعه لمن آمن وصدق وعمل به من الناس، وأن مُحَمَّدا صلى الله عليه وسلم كان كالطبيب الحاذق، وهذا القرآن عبارة عن مجموع أدويته التي بتركيبها تعالج القلوب المريضة[٦٩].

وفي قوله: (قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ) وردت في ماهية فضل الله ورحمته هنا عدة أقوال:

فقيل: إنزال القرآن[٧٠].وقيل هو القرآن. وقد روى أبو نعيم في الحلية: لما قدم خراج العراق الى عُمَر بن الخطاب خرج عُمَر ومولى له فجعل عُمَر يعد الإبل فاذا هي أكثر من ذلك وجعل عُمَر يقول الحمد لله وجعل مولاه يقول يا أمير المؤمنين هذا والله من فضل الله ورحمته فقال عُمَر كذبت ليس هو هذا يقول الله تعالى قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا يقول بالهدى والسنة والقرآن فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون وهذا مما يجمعون "[٧١] .

وهو عند عدد من المفسرين تداولُ فضل ورحمته، بين: القرآن، والإسلام، والسنة، ومُحَمَّد ﷺ، والعلم، والعصمة، والتوفيق، وغير ذلك مما هو في نطاق معناه[٧٢]. والإشارة بقوله: (فبذلك) قيل هي (بمنزلة الضمير، وتقديره بفضل الله وبرحمته فليعتنوا أو فليفرحوا فبذلك فليفرحوا، وفائدة ذلك التكرير التأكيد والبيان بعد الإجمال وإيجاب اختصاص الفضل والرحمة بالفرح أو بفعل دل عليه (قَدْ جاءَتْكُمْ)، وذلك إشارة إلى مصدره أي فبمجيئها فليفرحوا)[٧٣]. وقوله: (هُوَ خَيْرٌ مِمَّا

---

[٦٨] – التحرير والتنوير (١١/ ٢٠٠).

[٦٩] – انظر: مفاتيح الغيب (١٧/ ٢٦٨) والتحرير والتنوير (١١/ ٢٠٠).

[٧٠] – أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٣/ ١١٦).

[٧١] – الحلية لأبي نعيم (١٢٢/٥) والطبراني في مسند الشاميين: ١٢٥/٢ برقم ١٠٣٧ ، مؤسسة الرسالة

[٧٢] – انظر: زاد المسير في علم التفسير، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي (ت: ٥٩٧هـ)، المحقق: عبد الرزاق المهدي، د.ت. (٢/ ٣٣٥، ٣٣٦).

[٧٣] – أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٣/ ١١٦).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٤)، ص ص ٢٣١٧ - ٢٣٨١ (رجب ١٤٤١هـ / مارس ٢٠٢٠م)

يَجْمَعُونَ) الضمير في (هُوَ) يعود إلى القرآن بما فيه من موعظة وهداية وشفاء لأسقام القلوب[٧٤]. وقيل: الضمير (هو) راجع إلى لفظ (ذلك) باعتبار مدلوله، أي: الفضل والرحمة، ويجوز إرجاع الضمير إليهما ابتداءً بتأويل المذكور كما فعل في ذلك أو جعْلهما في حكم شيء واحد، ولك أن تجعله راجعا إلى المصدر أعني المجيء الذي أشير إليه[٧٥].

فهذا يأتي في باب اتساع المدلول بسبب عود الضمير على القرآن، حيث أثبتت عودة الضمائر إلى القرآن هذه الأوصاف العظيمة إلى القرآن وبينت مزايا عظيمة له أيضا.

ومن هذا دلالة الضمير العائد على ثبات أكثر من صفة من صفات القرآن ودَيمومتها فيه، مع إفادة اشتماله على المعاني التي قد يدل عليها الضمير لو قلنا بعودته على غير القرآن، وهذا نستطيع فهمه من قوله تعالى: {قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآناً عَجَباً، يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَداً} الجن:١-٢. فالضمائر في هذه الآية تدل على ثبات وصف القرآن أنه عجب، وعلى ثبات شدة تأثيره فيمن يسمعه للاعتبار، وعود الضمير إلى القرآن يشمل المعاني التي يحتملها عود الضمير إلى غيره.

فمن ناحية دلالة الضمير على ثبات وصف العجَب إلى القرآن نقول: بأن الجن وصفوا القرآن أنه عجَب، أي هو عجب في نفسه، لأسباب عديدة[٧٦]. وهذا الوصف بالمصدر إما على سبيل المبالغة، وإما على حذف مضاف أي ذا عجب، وإمَّا بمعنى اسم الفاعل، أي: معجِب.. وهذه المقدرات يأتي قبلها تقدير ضمير (هو)، وهو يفيد بأن الجملة اسمية ودلالة الجملة الاسمية على الثبات والدوام، كما هو معلوم[٧٧]. فالضمير بعودته على القرآن يفيد دوام وصفه بالعجَب.

---

[٧٤] – زهرة التفاسير (٧/ ٣٥٩٧).

[٧٥] – روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، المؤلف: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ)، المحقق: علي عبد الباري عطية، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ. (٦/ ١٣٤).

[٧٦] – البحر المحيط في التفسير (١٠/ ٢٩٣) .

[٧٧] – انظر: اللباب في علوم الكتاب (١٩/ ٤١٠) وانظر: أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، عبد الله بن يوسف ابن هشام (المتوفى: ٧٦١هـ)، المحقق: يوسف الشيخ محمَّد البقاعي دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، د.ت. (١/ ٢٠٦) .

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٤)، ص ص ٢٣١٧ - ٢٣٨١ (رجب ١٤٤١هـ / مارس ٢٠٢٠م)

ومن ناحية دلالة الضمير إلى القرآن على سرعة وشدة تأثير القرآن، وعلى اشتماله على المعاني التي قد يدل عليها الضمير لو عاد على غيره، فإن ذلك يعرف من دلالة الضمير في (بِهِ) في الآية الثانية من السورة،(يهدي إلى الرشد فآمنا به) وقد قيل في هذا الضمير: إنه يعود إلى القرآن[٧٨].وقيل: إنه يعود إلى الرشد، أي: فآمنا بالرشد الذي في القرآن[٧٩].وقيل: يجوز أن يكون الضمير في (بِهِ) لله تعالى لأن قوله (بِرَبِّنَا) يفسره[٨٠].

والأظهر أنه يعود إلى القرآن، وهذا يؤيده أن العطف بالفاء بقوله: (فآمنا به) يفيد الترتيب التعقيبي[٨١]، وفي ذلك دليل على سرعة وشدة تأثير القرآن الكريم؛ حيث تأثروا عقب سماعه لأول مرة مباشرة، ثم إنه قد قيل بأن الباء في (به) تحتمل السببية، والمعنى آمنا بسبب القرآن[٨٢]، فالقرآن هو المؤثر هنا.

وفي احتواء الضمير العائد إلى القرآن لدلالته فيما لو عاد لغيره، أقول:

كما أن السياق هو في بيان موجبات هداية القرآن، فيكون الإيمان ونفي الشرك مسبَّب عن مجموع (إِنَّا سَمِعْنا قرآنا) إلخ، والإيمان بالقرآن يعم الإيمان بما فيه[٨٣]، (والإيمان بالقرآن يقتضي الإيمان بمن جاء به وبمن أنزله ولذلك قالوا ولن نشرك بربنا أحدا)[٨٤]. وهذا يؤكد أن الضمير العائد إلى القرآن دَلّ على كل هذه المعاني، في حين أن ذلك لا يحصل إذا قلنا بعودة الضمير إلى غير القرآن، وهذا لا شك أنه من توسيع الضمير العائد إلى القرآن للمعاني.

---

[٧٨] – الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٤/ ٦٢٣) والبحر المحيط في التفسير (١٠/ ٢٩٣) .

[٧٩] – مفاتيح الغيب (٣٠/ ٦٦٦).

[٨٠] – مدارك التنزيل ،أبو البركات عبد الله بن أحمد النسفي (المتوفى: ٧١٠هـ)، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ. (٣/ ٥٤٩).

[٨١] – أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك (١/ ١٨٤).

[٨٢] – روح المعاني (١٥/ ٩٤) وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، المؤلف: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، د.ت. (ص: ٨٩٠).

[٨٣] – انظر: روح المعاني (١٥/ ٩٤).

[٨٤] – التحرير والتنوير (٢٩/ ٢٢١).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٤)، ص ص ٢٣١٧ - ٢٣٨١ (رجب ١٤٤١هـ / مارس ٢٠٢٠م)

ومن هذا الباب: قوله تعالى: {وَما يَنْطِقُ عَنِ الْهَوى، إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يوحى، عَلَّمَهُ شَدِيدُ القوى} النجم: ٣- ٥. فقد اختلف في الضمائر في (إن هو، علمه) على ماذا تعود؟ هل على القرآن أم على كلام مُحَمَّد ﷺ، فقيل تعود إلى القرآن لفهم ذلك من السياق، بل قال بعضهم أن هذا مجمع عليه(٨٥). وقيل: الضمير يعود على نطق مُحَمَّد ﷺ في الدين(٨٦).

وفي ضوء هذا اختلفوا أيضا في ضمير (علّمه) هل يعود إلى القرآن أم لمحمد ﷺ(٨٧).

وكل الاحتمالات في الموضعين واردة، وهذا مما يدل على أن الضمير يوسع المعنى.

ومما يدل عليه الضمير العائد إلى القرآن من معاني واسعة وعميقة دلالة متزامنة، ما في قوله تعالى: {أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفاً كَثِيراً} النساء:٨٢. ففي هذه الآية اختلف المفسرون في عودة الضمير في (فيه) على ما ذا يعود؟

فقيل: يُحتمل أن يعودَ على القُرْآن، ويحتمل أن يعُود على ما يُخْبره الله تعالى به مِمَّا يُبَيِّتُون ويُسِرُّون، يعني: أنه يُخْبِرُهم به عَلَى حَدٍّ ما يَقَع(٨٨).

---

(٨٥) – انظر: جامع البيان (٢٢/ ٤٩٧) والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٥/ ١٩٦).

(٨٦) – انظر: مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٢٨/ ٢٣٥) ولباب التأويل في معاني التنزيل، المؤلف: علاء الدين علي بن مُحَمَّد الشيحي ، المعروف بالخازن (المتوفى: ٧٤١هـ)، المحقق: تصحيح مُحَمَّد علي شاهين، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٥ هـ. (٤/ ٢٠٣).

(٨٧) – انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٥/ ١٩٦) والهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، أبو مُحَمَّد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن مُحَمَّد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (المتوفى: ٤٣٧هـ)، المحقق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي، جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي، الناشر: مجموعة بحوث الكتاب والسنة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الشارقة، الطبعة الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م. (١١/ ٧١٤٢)

(٨٨) – مفاتيح الغيب (١٠/ ١٥١) واللباب في علوم الكتاب (٦/ ٥٢٠)

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٤)، ص ص ٢٣١٧ - ٢٣٨١ (رجب ١٤٤١هـ / مارس ٢٠٢٠م)

ويفهم من كلام العلماء في هذا أن بعضهم يرجح كون الضمير في (فيه) عائدا على القرآن[٨٩]، وبعضهم يرجح كونه يعود على ما يخبر الله به نبيه من أحوال المنافقين فيقع على حد ما يخبر[٩٠].

والظاهر هو أن الضمير يعود على القرآن، وهذا العود يعطي معاني واسعة يدخل فيها ما قاله العلماء في القول الآخر، فالقرآن فيه أخبار عن أحوال المنافقين والكفار صدّقها الواقع، وهذا بخلاف القول الآخر، فإن هناك أخبارا أخبر الله بها نبيه عن بعض الأحوال من غير أن تكون قرآنا، ووقوع الخبر على وِفق ما أخبر به النبي دليل على أنه من عند الله غيب من الغيوب[٩١]، ولكنه دليل قد تختل قوته بمرور الزمن، وأخبار القرآن إلى قيام الساعة لها نفس القوة.

ثم إن ظاهر الآية يدل على أنه تعالى احتج بالقرآن على صحة نبوة مُحَمَّد صلى الله عليه وسلم.. وهذا في علم البيان: الاحتجاج النظري، وقوم يسمونه المذهب الكلامي[٩٢].

وقد قال العلماء: إن دلالة القرآن على صدق مُحَمَّد صلى الله عليه وسلم من ثلاثة أوجه: أحدها: فصاحته. وثانيها: اشتماله على الإخبار عن الغيوب. والثالث: سلامته عن الاختلاف، وهذا هو المقصود في هذه الآية[٩٣].

ولا يوصف الاختلاف في الإخبار بغيب مَا بأنه اختلاف كثير؛ فهو قد يختلف في صورة أو اثنتين أو نحو ذلك – مثلا–، وأما الاختلاف المنزه عنه القرآن فهو في وجوه كثيرة: في إخبار النبي بأحوال المنافقين، وفيما فيه من العلوم الكثيرة

---

[٨٩] – انظر: مفاتيح الغيب (١٠/ ١٥١) والبحر المحيط في التفسير (٣/ ٧٢٥) واللباب في علوم الكتاب (٦/ ٥٢٠)

[٩٠] – انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢/ ٨٢)، ولكنه في بداية سورة الكهف استشهد بآية النساء على عدم وجود اختلاف في القرآن. انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/ ٢٦٧).

[٩١] – انظر: البحر المحيط في التفسير (٣/ ٧٢٦).

[٩٢] – البحر المحيط في التفسير (٣/ ٧٢٥).

[٩٣] – مفاتيح الغيب (١٠/ ١٥١).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٤)، ص ص ٢٣١٧ - ٢٣٨١ (رجب ١٤٤١هـ / مارس ٢٠٢٠م)

المتنوعة، وفي بلاغته وفصاحته رغم طوله وتنوع خطابه وأحداثه[٩٤].. وفي اللفظ، وفي المعنى، وفي اشتماله على ما لا يلتئم، أو كونه يمكن معارضته. والقرآن العظيم ليس فيه شيء من ذلك كله، لأنه كلام المحيط بكل شيء[٩٥].

فالضمير العائد على القرآن في الآية يعطي كل هذه الدلالات الواسعة، بخلاف ما لو قلنا بعودته على إخبار النبي.

ـ ومن هذه الدلالة بالضمير على معنى بعيد عميق يقتضيه السياق، ما في قوله تعالى: {قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً} الإسراء:٨٨، فقوله: (لا يأتون بمثله)، قيل إن الضمير في (بمثله) يعود على قوله: (مثل هذا القرآن)، أي على المِثل، وليس عائدا على القرآن، وهذا احتراز عن أن يُتوَّهم أن إلى القرآن مِثْلاً معيناً، وإيذان بأن المرادَ نفيُ الإتيانِ بمثْلٍ مَا على أي صفة كان[٩٦].

وقيل: إن الضمير في (بمثله) يعود إلى القرآن، فقوله: بمثله، أي: به، فدل أن قوله: (لَا يَأتوُنَ بِمِثلِهِ)، معناه: لا يقدرون أن يأتوا به بعد ما عرفوه وعاينوه، وقدرتهم على الإتيان به ابتداء قبل أن ينظروا فيه ويعرفوا مثاله أشد وأبعد[٩٧]. فعلى كلا التأويلين في عود الضمير تحصل دلالة عميقة على معنى بعيد قد لا يتبادر إلى الذهن، وهذا من توسيع المعاني.

. ومن اتساع الدلالة بسبب الضمير العائد إلى القرآن، ما في قوله تعالى: {قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادةً قُلِ اللهِ شَهِيدٌ بِيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللهِ آلِهَةً أُخْرَى قُل لاَّ أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَـهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ} الأنعام:١٩

---

[٩٤] – مفاتيح الغيب (١٠/ ١٥١) باختصار.

[٩٥] – البحر المحيط في التفسير (٣/ ٧٢٥) باختصار.

[٩٦] – انظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (تفسير أبي السعود العمادي)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د ت. (٥/ ١٩٣) وفتح القدير للشوكاني (٣/ ٣٠٥) والتحرير والتنوير (١٥/ ٢٠٣).

[٩٧] – انظر: البرهان في علوم القرآن (٢/ ٩٨).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٤)، ص ص ٢٣١٧ - ٢٣٨١ (رجب ١٤٤١هـ / مارس ٢٠٢٠م)

والضمير في (به) من قوله (لأُنذِرَكُم بِهِ)، وهو يعود على القرآن وفي عودته على القرآن دلالة على أن الإنذار يكون بالقرآن الكريم، فهو منهج النبي ﷺ وهو أبلغ من غيره، كما قال تعالى: {وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَاداً كَبِيراً} الفرقان:٥٢. فالقرآن الكريم جامع للعلم والتربية والتزكية. وفي هذا الضمير ترجيح للضمير في أول سورة الفرقان.

والضمير في قوله: (ومن بلغ)، اختلف هل فيها ضمير أم لا؟ فجمهور المفسرين على أن فيها ضميرا محذوفا، وأن قوله (ومن بلغ) عطف على المخاطبين من أهل مكة، أي لأنذركم به، وأنذر كل من بلغه القرآن، من العرب والعجم، وقيل من الثقلين، وقيل: من بلغه إلى يوم القيامة، فالضمير في (بلغ) عائد على القرآن[٩٨]. وقالت فرقة: ومن بلغ يعني من بلغ الحُلم (من البلوغ وهو في العمر)، فبَلَغَ عائد إلى (مَنْ)، وليس فيها ضمير[٩٩].

والراجح الأظهر أن هناك ضمير في (بلغ) يعود على القرآن الكريم ومن شواهد ذلك: أن الكلام فيه عطف على السابق، وتأويله: ولأنذر به من بلغه القرآن. وأيضا القول الآخر يخالف كثيرا من النصوص الواردة في طبيعة رسالة مُحَمَّد عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم وأقوى معجزاته القرآن الكريم. وهناك احتمال في (مَن بلغ) وهو أن (مَن) في موضع رفع عطفا على الضمير المستكن في لأنذركم به، ويكون المعنى: ولينذر به أي بالقرآن من بلغه القرآن، وهذا يؤيد أن الضمير في (بلغ) عائد على القرآن، وحذف الضمير العائد هنا مما يستحسن في الكلام[١٠٠].

وقد استدل بالآية: على أنه صلى الله عليه وسلم مبعوث إلى الناس كافة، وإلى الجن، وأن أحكام القرآن تعمّ الموجودين يوم نزوله، ومن سيوجد بعد إلى يوم القيامة[١٠١]، وهذا بسبب احتمال الضمير العائد.

---

[٩٨] – جامع البيان (١١/ ٢٩٠) والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٢/ ٢٧٦) ومفاتيح الغيب (١٢/ ٤٩٩)

[٩٩] – المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٢/ ٢٧٦) ومفاتيح الغيب (١٢/ ٤٩٩).

[١٠٠] – انظر: النكت الدالة على البيان في أنواع العلوم والأحكام، أحمد مُحَمَّد بن علي بن مُحَمَّد الكَرَجي القصَّاب (المتوفى: نحو ٣٦٠هـ)، تحقيق: الجزء ١: علي بن غازي التويجري، الجزء ٢ – ٣: إبراهيم بن منصور الجنيدل، الجزء ٤: شايع بن عبده بن شايع الأسمري، دار النشر: دار القيم – دار ابن عفان، الطبعة الأولى ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣ م. (١/ ٣٣٣) والبحر المحيط (٤/ ٤٦١).

[١٠١] – انظر: التحرير والتنوير (٧/ ١٦٨) ومحاسن التأويل (٤/ ٣٣٠) .

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٤)، ص ص ٢٣١٧ - ٢٣٨١ (رجب ١٤٤١هـ / مارس ٢٠٢٠م)

ومن هذا الباب، دلالة الضمائر في قوله تعالى: {وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ وَإِن يُهْلِكُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ} الأنعام:٢٦. ففي هذه الآية ضمير في (عنه) في الموضعين، وقد اختلف المفسرون في مرجعه، على قولين:

فقال فريق بأن الضمير عائد على القرآن، وقال فريق بأنه عائد على النبي ﷺ، ولهم في ذلك تأويلات ودلالات[١٠٢].

ورجح البعض أن الضميرين عائدان على النبي ﷺ[١٠٣]، ورجح آخرون أن الضميرين عائدان على القرآن[١٠٤]. وهو ضمير محتمل العود للأمرين معا، والقرآن والنبي ﷺ لا شك بارتباطهما معا، بحيث إن النهي والنأي عن أحدهما يكون نهيا ونأيا عن الآخر. ودلالة الارتباط هذه أكدها أو أبرزها الضمير العائد عليهما.

ـ ومن الضمير العائد إلى القرآن المفيد إثبات صفات لها معان دلالية متعددة، ما في قوله تعالى: {الَرَ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُّبِينٍ} الحجر:١. ففي هذه الآية وصف القرآن بصفتين: الصفة الأولى: أنه آيات مكتوبه. وهذا فيه اهتمام بحفظه والاهتمام به، لأن الذي يكتَب هو ذو الشأن والأهمية. والصفة الثانية: أنه (قُرآن مُبِين)، وفى هذا إشارة إلى أن آيات الله تلك إنما كتبت لتقرأ وتتلى، ولتكون ذكرا دائما على ألسنة المؤمنين، تعمر بها قلوبهم، وتغتذى منها أرواحهم، وتستبصر بها بصائرهم[١٠٥]. وهاتان الصفتان باعتبار تقدير الضمير (هو) فنقول: وهو قرآن مبين. وقد ذكر أهل التفسير أيضا مثل هذا في قوله تعالى: {طس تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ} النمل:١، والآيتان مختلفتان في ترتيب لفظ كتاب ولفظ القرآن، ولفظ القرآن جاء معرفا في الحجر ومنكرا في النمل، وبالعكس جاء لفظ الكتاب فيهما. وقد قيل بأن (كتاب مبين) في سورة النمل يراد به اللوح المحفوظ، وعند ذلك فلا يكون من باب التوسيع للمعنى، لأنه لا يوجد ضمير رابط، ولاختلاف مفهوم اللفظين (الكتاب، والقرآن)، ولكن هذا الرأي رده ابن عاشور في التحرير والتنوير فقال: (وكتاب

---

[١٠٢] – انظر: جامع البيان (١١/ ٣١١) والمحرر الوجيز (٢/ ٢٨٠) .

[١٠٣] . انظر: جامع البيان (١١/ ٣١٥).

[١٠٤] – انظر: التحرير والتنوير (٧/ ١٨٢).

[١٠٥] – انظر: التفسير القرآني إلى القرآن، عبد الكريم الخطيب، دار الفكر العربي، القاهرة، د ت. (٧/ ٢١٠).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٤)، ص ص ٢٣١٧ - ٢٣٨١ (رجب ١٤٤١هـ / مارس ٢٠٢٠م)

مبين) القرآن أيضا، ولا وجه لتفسيره باللوح المحفوظ للتفصِّي[١٠٦] من إشكال عطف الشيء على نفسه؛ لأن التفصِّي من ذلك حاصل بأنّ عطْف إحدى صفتين على أخرى كثير في الكلام. ولما كان في كل من القرآن وكتاب مبين شائبة الوصف، فالأول باشتقاقه من القراءة، والثاني بوصفه ب مبين، كان عطف أحدهما على الآخر راجعا إلى عطف الصفات بعضها على بعض، وإنما لم يؤت بالثاني بدلا، لأن العطف أعلق باستقلال كلا المتعاطفين بأنه مقصود في الكلام بخلاف البدل)[١٠٧].

وذكر القرطبي أن الكتاب هو القرآن، ولكن جُمع له بين الصفتين: أي بأنه قرآن وأنه كتاب، لأنه يظهر بالكتابة ويظهر بالقراءة[١٠٨]. فهو جمع له بين صفتين، وهو كعطف الصفات بعضها على بعض والموصوف واحد[١٠٩].

وقد جاء في تفسير فتح البيان كلاما جامعا في موضعي الآيتين، في سورتي الحجر والنمل، جمعتُه مختصرا، قال: (وقد وصف الآيات بالوصفين: القرآنية الدالة على كونها مقروءة مع الإشارة إلى كونها قرآناً عربياً معجزاً، والكتابية الدالة على كونها مكتوبة، مع الإشارة إلى كونها متصفة بصفة الكتب المنزلة، ثم ضم إلى الوصفين وصفاً ثالثاً، وهي الإبانة لمعانيه لمن يقرأه، وقدم وصف القرآنية في سورة النمل نظراً إلى تقدم حال القرآنية على حال الكتابة، وأخره في سورة الحِجر نظراً إلى حالته التي قد صار عليها فإنه مكتوب)[١١٠].

---

[١٠٦] - التفصي: التخلص والتفلت. وأصل التفصِّي أَن يكون الشيءُ فِي مضيق، ثمَّ يخرج إِلَى غَيره. انظر: تهذيب اللغة، المؤلف: مُحَمَّد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ)، المحقق: مُحَمَّد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م. (١٢/ ١٧٥) والمدخل لدراسة القرآن الكريم، مُحَمَّد أبو شُهبة (المتوفى: ١٤٠٣هـ)، مكتبه السنة – القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م. (ص: ٤٠٣).

[١٠٧] - التحرير والتنوير (١٩/ ٢١٧).

[١٠٨] - تفسير القرطبي (١٣/ ١٥٤) وزهرة التفاسير (١٠/ ٥٤٢٩).

[١٠٩] - التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٩٨).

[١١٠] - انظر: فتح البيان في مقاصد القرآن (١٠/ ٩) و(١٠/١٠).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٤)، ص ص ٢٣١٧ - ٢٣٨١ (رجب ١٤٤١هـ / مارس ٢٠٢٠م)

وأما قوله تعالى: {هُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ} النمل: ٢. فإن (هُدىً وَبُشْرى) في موضع نصب على المصدر، أو في موضع رفع على أنه خبر ابتداء مضمر[١١١] . وتقديره: هو هدى.. وهذا وصف آخر إلى القرآن ربَطه الضمير المقدر مبتدأ.

ومن هذا الباب أيضا: ما في قوله تعالى: {لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ، إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ، فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ، ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ} القيامة:١٦- ١٩. فالضمائر التي في هذه الآيات في (به، جمعه، قرآنه، قرأناه، قرآنه، بيانه) كل هذه الضمائر تعود على القرآن الكريم، وإن لم يجر له ذكر سابق، وذلك له مسوغات وقرائن كثيرة، ولم أطّلع على قول مخالف في أن الضمير في (به) يعود على القرآن[١١٢].

وفي عود الضمير على القرآن هنا دلالات مهمة، منها: أن كل ما يتعلق بالقرآن الكريم من وحيه وجمعه وتلاوته وبيان تأويله، كل ذلك من الله تعالى وحده، لا يتدخل فيه رسول الله البتة. ومنها: بيان أن الله متكفل بحفظ كتابه من جميع النواحي المتعلقة بحفظه[١١٣]. فهذان المعنيان زيادة على معنى (جَمع وقرأ وبيّن)، أفادها الضمير العائد إلى القرآن بحسب مقتضى الحال، وهي دلالات تبين أن القرآن الكريم من عند الله، كصفات أثبتها الضمير العائد في الآيات المذكورة.

ومن الضمير العائد على القرآن الذي يثبت وصفا أو حالا، ما جاء في قوله تعالى: {وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاء وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلاَ يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إَلاَّ خَسَاراً} الإسراء:٨٢. ففي قوله: (مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاء وَرَحْمَةٌ) اختلف المفسرون في الضمير (هو) هل يعود على القرآن، أي كله، أم على (مِن القرآن)، أي على بعضه: فمن قال إن الضمير (هو) يعود على القرآن جعل القرآن كله شفاء ورحمة.. وجعل (مِن) للبيان، و(ما هو شفاء) مفعول ننزل، و(من القرآن) بيان لما في (ما) من الإبهام، وتقديم البيان لتحصيل غرض الاهتمام بذكر القرآن مع غرض الثناء عليه بطريق الموصولية بقوله: (ما هو

---

[١١١] – التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٩٨).

[١١٢] – انظر: جامع البيان (٢٤/ ٦٥) والكشاف (٤/ ٦٦١) والمحرر الوجيز (٥/ ٤٠٤) والتحرير والتنوير (٢٩/ ٣٤٩).

[١١٣] – انظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٤/ ٦٦١).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٤)، ص ص ٢٣١٧ - ٢٣٨١ (رجب ١٤٤١هـ / مارس ٢٠٢٠م)

شفاء ورحمة) إلخ، للدلالة على تمكن ذلك الوصف منه بحيث يعرف به، والمعنى: ننزل الشفاء والرحمة وهو القرآن[١١٤].استبعاداً للتبعيض في (مِن) الذي يدل على أن بعض القرآن ليس شفاء. ومن قال إنه يعود على بعض القرآن بدلالة (مِن) التي هي للتبعيض، خرّج معنى التبعيض في الآية وقال: (يكون للتبعيض بحسب أن إنزاله إنما هو مبعّض، فكأنه قال: وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ شيئا شيئا ما فيه كله شِفاءٌ ..، وكونه رحمة ظاهر)[١١٥]. فها هنا جعلوا التبعيض لإنزال القرآن وليس لخصيصة الشفاء والرحمة التي فيه. وكأن المعنى: وننزل من القرآن الذي هو كامل في اللوح المحفوظ، وربما كان في هذا بعض التكلف. والله أعلم.

ويمكن التخريج على قول من قال بالتبعيض أن يكون المعنى: ننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة أي: ما يشفي موقفا معينا أو وضعا معينا أو مرضا اجتماعيا أو فرديا معينا، فننزل من القرآن من العلاج المناسب له ما يشفيه، فيكون التبعيض على ظاهره حقيقة، ولكن يكون المعنى: أن البعض النازل من القرآن شفاء ورحمة للوضع المقصود بنزوله.. وهذا بخلاف قول ابن عطية وغيره الذين قالوا هو مبعض في إنزاله، ولكنه لا يعارض قولهم، ولابن القيم رحمه الله كلام حول أثر قراءة آيات السكينة –وقت الشدة والهم– ،إذ يقول رحمه الله: (وكان شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله إذا اشتدت عليه الأمور : قرأ آيات السكينة . وسمعته يقول في واقعة عظيمة جرت له في مرضه تعجز العقول عن حملها ، من محاربة أرواح شيطانية ظهرت له إذ ذاك في حال ضعف القوة ، قال : فلما اشتد علي الأمر قلت لأقاربي ومن حولي : اقرأوا آيات السكينة ، قال : ثم أقلع عني ذلك الحال ، وجلست وما بي قَلَبَة ،وقد جربت أنا أيضا قراءة هذه الآيات عند اضطراب القلب مما يرد عليه ، فرأيت لها تأثيرا عظيما في سكونه وطمأنينته)[١١٦] .

ومما يتبع هذه الدلالات: أن عود الضمير على القرآن قد يدل على إفادة وصف القرآن بصفة تخالف وصفه الثابت بأنه هدى وبيانا، فقد يوصف بأنه عمىً ومنفّرا لقومٍ –لا بذاته– بل بسببٍ منهم، فهو يدل على احتمال وصف معكوس

---

[١١٤] – الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٢/ ٦٨٩) والتحرير والتنوير (١٥/ ١٨٩).
[١١٥] – المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٣/ ٤٨٠) وإعراب القرآن وبيانه (٥/ ٤٩٤).
[١١٦] – مدارج السالكين (٥٠٤/٢) .

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٤)، ص ص ٢٣١٧ - ٢٣٨١ (رجب ١٤٤١هـ / مارس ٢٠٢٠م)

محدد بحالة معينة، وليس وصفا مطلقا، كما في قوله تعالى: {وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَـذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُواْ وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلاَّ نُفُوراً} الإسراء:٤١، فـ (المراد (ولقد صرفناه) أي التنزيل، وهذا المعنى في مواضع من التنزيل، فترك الضمير لأنه معلوم، وكان سفيان الثوري إذا قرأها يقول: زادني لك خضوعاً ما زاد أعداءك نفورا)[١١٧]. ونظير هذه الآية قوله تعالى: {وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاء وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلاَ يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إَلاَّ خَسَاراً} الإسراء:٨٢. أي: إذا سمعه المؤمن انتفع به وحفظه ووعاه، {ولا يزيد الظالمين إلا خسارا} فإنهم لا ينتفعون به ولا يحفظونه ولا يعونه[١١٨]. ومنه أيضا، قوله تعالى: {وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلاَّ كُفُوراً} الإسراء:٨٩. ويؤكد هذا المعنى قوله تعالى: {وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْراً وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْاْ عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُوراً} الإسراء:٤٦. فهم لا يفقهون القرآن ولا يفهمونه، مع أنهم يسمعون قراءته من النبي ﷺ، ولكن الله جعل على قلوبهم أكنة[١١٩]. ومثل هذه الدلالة أيضا في قوله تعالى: {وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْراً وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ آيَةٍ لاَّ يُؤْمِنُواْ بِهَا} الأنعام:٢٥. وكذلك قوله تعالى: {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْراً} الكهف:٥٧.

ويؤكد هذا المعنى أيضا قوله تعالى: {وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآناً أَعْجَمِيّاً لَّقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاء وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُوْلَئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ} فصلت:٤٤. فـ{والذين لاَ يُؤْمِنُونَ} مبتدأٌ خبره {في آذانِهم وَقْرٌ} على أن التقدير هُو: أي: القرآنُ في آذانِهم وَقْرٌ، على أنَّ وقرٌ خبرٌ للضمير المقدر، وفي آذانِهم متعلقٌ بمحذوفٍ وقعَ حالاً من وقرٌ، وهُو أوفقُ لقولِه تعالى: {وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى})[١٢٠].
والآيات في هذا كثيرة، وهي أيضا تأتي في مبحث الترجيح، لأن ضمائرها تتعاضد على كونها عائدة على القرآن،

---

[١١٧] – مدارك التنزيل وحقائق التأويل (٢/ ٢٥٨).
[١١٨] – تفسير ابن كثير (٥/ ١١٣).
[١١٩] – انظر: جامع البيان (١١/ ٣٠٥) وتفسير القرطبي (١٠/ ٢٧١) .
[١٢٠] – إرشاد العقل السليم (٨/ ١٦).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٤)، ص ص ٢٣١٧ - ٢٣٨١ (رجب ١٤٤١هـ / مارس ٢٠٢٠م)

فالضمير هنا أفاد معنى جديدا وهو أن القرآن مع أنه هدىً قد يصير عمى وضلالة حال تكذيبه ومعاندته.. وهذا من المجاز والاستعارة.

وقد ذكر بعض المفسِّرين أن المراد: ما زادهم البيان إلا نفورا[١٢١]. وقال آخرون: وما يزيدهم التصريف إلا نفورا أي بُعدا وفرارا عن الحق[١٢٢]. والشاهد هو في القول الأول. فالضمير العائد على القرآن في هذه المواضع كلها يوسع المعنى من خلال احتماله لدلالات عديدة قد تتزامن أو تكون احتمالاتها على انفراد.

المطلب الرابع: دلالة الضمير العائد إلى القرآن على التفخيم والتعظيم:

والإضمار في هذه الحالة يأتي بعدة صور:

منها: عودة الضمير إلى القرآن مع عدم ورود ذكره قبلَ ذلك في السياق، ومن أمثلة هذا: قوله تعالى: {وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْراً} طه: ١١٣. فالمعنى: (ومثل ذلك الإنزال المتقدم، أَنْزَلْناهُ أي: القرآن كله، وإضماره من غير سبقية ذكره للإيذان بنباهة شأنه، وكونه مركوزًا في العقول، حاضرًا في الأذهان)[١٢٣] ، بل قد يدل الكلام على حضوره كأنه في الواقع بذاته، ومن هذا قوله تعالى: {وَهَذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَاهُ أَفَأَنتُمْ لَهُ مُنكِرُونَ} الأنبياء:٥٠. فاسم الإشارة يشير إلى القرآن من غير سابق ذكر له لأن حضوره في الأذهان وفي التلاوة بمنزلة حضور ذاته[١٢٤].

ومن ذلك أيضا: قوله تعالى: {وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْناهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَما أَرْسَلْناكَ إِلَّا مُبَشِّراً وَنَذِيراً} الإسراء:١٠٥. (فالضمير في (أنزلناه) يعود إلى القرآن الكريم، وليس هناك مذكور يعود إليه هذا الضمير، وفى هذا ما يشير إلى علوّ مقام القرآن، وأنه

---

[١٢١] – الهداية إلى بلوغ النهاية (٦/ ٤٢٠٨).
[١٢٢] – البحر المحيط في التفسير (٧/ ٥٣) فتح القدير للشوكاني (٣/ ٢٧٢).
[١٢٣] – البحر المديد في تفسير القرآن المجيد (٣/ ٤٢٤).
[١٢٤] – التحرير والتنوير (١٧/ ٩٠).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٤)، ص ص ٢٣١٧ - ٢٣٨١ (رجب ١٤٤١هـ / مارس ٢٠٢٠م)

أظهر وأشهر من أن يذكر للدلالة عليه، فإذا ذكر الحقّ الذي نزل من السماء، واستقرّ حقّا قائما في هذه الأرض، مصاحبا للناس- كان ذلك معنيّا به القرآن الكريم وحده، دون سواه)[١٢٥].

ومن الإضمار بالإشارة ما في قوله تعالى: {وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ} الزمر:٢٧. فقوله: (في هذا القرآن) إشارة رابطة في الجملة، وفيها تنويه بالقرآن الكريم وتقرير للمخاطبين بأنهم يعرفونه وكأنه حاضر معهم، وقوله تعالى: {قُرْآناً عَرَبِيّاً غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ} الزمر:٢٨. تتمة للتنويه بالقرآن وإرشاده، وللتعريض بتسفيه أحلام الذين كذبوا به[١٢٦]. باعتبار أن (قرآنا) حال من القرآن أو مصدر، ومن التنويه بشأن القرآن ما جاء في ضمير الإشارة في قوله تعالى: {وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَن يُفْتَرَى مِن دُونِ اللهِ} يونس:٣٧. فالمعنى: (ليس يصح في شأن القرآن وهو على ما هو من العلو أسلوبًا ونهجًا وغاية، أَن يكون مفترى من عند مُحَمَّد وأَعانه عليه قوم آخرون كما افتراه عليه المشركون، فإن هذا غير ممكن)[١٢٧].

ومن هذا أيضا قوله تعالى: {لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُّتَصَدِّعاً مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ} الحشر:٢١. فضمير الإشارة العائد على القرآن (هذا، تلك) فيه تفخيم وتعظيم إلى القرآن وتنويه بشأنه، وفيه معنى الحضور والقرْب أيضا، كما هو في قوله تعالى أيضا: {وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلاَّ كُفُوراً} الإسراء:٨٩.

وقد قيل بأن الخطاب للكفار – أي في قوله-: {لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعاً}، والغرض منه التنبيه على قساوة قلوب هؤلاء الكفار وغلظ طباعهم، مع مخاطبة القرآن العظيم الشأن لهم، وكيف لا يتأثرون به؟، فيكون تعجيبا من حالهم وقسوتهم. وقيل الخطاب للنبيّ صلى الله عليه وسلم، والمعنى: لو أنزلنا هذا القرآن يا مُحَمَّد على جبل لما ثبت

---

[١٢٥] – التفسير القرآني إلى القرآن (٨/ ٥٦٥) وانظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٣/ ٤٩٠) .

[١٢٦] – التحرير والتنوير (٢٣/ ٣٩٦).

[١٢٧] – التفسير الوسيط – مجمع البحوث (٤/ ٩٠) .

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٤)، ص ص ٢٣١٧ - ٢٣٨١ (رجب ١٤٤١هـ / مارس ٢٠٢٠م)

ولتصدّع من نزوله عليه، وقد أنزلناه عليك وثبتناك له، فيكون ذلك امتناناً عليه أن ثبته لما لم تثبت له الجبال[١٢٨]. وفي الآية (تمثيلٌ وتخييلٌ لعلوّ شأنِ القرآنِ وقوةِ تأثيرِ ما فيهِ من المواعظِ)[١٢٩].ومن هذا أيضا قوله تعالى: {إِنَّ هَـذَا الْقُرْآنَ يِهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ} الإسراء: ٩، وما شابهها من الآيات، في تعظيم القرآن والتنويه بشأنه.

وتبعاً لهذه الدلالة للإضمار بالإشارة: دلالة ضمائر الإشارة العائدة على القرآن على الاستهزاء والتحقير والاستهانة، وذلك عندما تصدر من الكفار أو تحكى عنهم، كما في قوله تعالى: {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن نُّؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ} سبأ:٣١. وكما في قوله تعالى: {وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَـذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ} الزخرف:٣١. ففي إشارتهم إلى القرآن بهذه الصورة استهانة واحتقار وإنكار[١٣٠]. ومثل ذلك القصد أيضا يحتمله ضمير الإشارة في قوله تعالى: {وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ} يونس: ١٥. فقد سموا ما طلبوا الإتيان به قرآنا، ومقصدهم ائت بغير هذا مما تسميه قرآنا. فيحتمل أن يكون ذلك منهم استهزاء[١٣١]. وكذلك الأمر في قوله تعالى: {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ} فصلت:٢٦. هو من باب السخرية والاستهزاء.

ويصلح هنا أن يكون الضمير تبعا لدلالة التفخيم أن نقول: إن مما يفيد تعظيم القرآن وتفخيمه: إضمار جواب الشرط العائد على القرآن، وليس إضمار الضمير، ويسميه بعض العلماء الحذف، وبعضهم يطلق عليه إضمار البيان[١٣٢]، ويستفاد من هذا الإضمار أو الحذف معنىً زائدا، كما في قوله تعالى: {وَلَوْ أَنَّ قُرْآناً سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى بَل لِّلّهِ الأَمْرُ جَمِيعاً أَفَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِينَ آمَنُواْ أَن لَّوْ يَشَاءُ اللّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعاً وَلاَ يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُواْ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُواْ قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيباً مِّن دَارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللّهِ إِنَّ اللّهَ لاَ يُخْلِفُ الْمِيعَادَ} الرعد:٣١، فقوله: (وَلَوْ أَنَّ

---

[١٢٨] – السراج المنير (٤/ ٢٥٧).
[١٢٩] – إرشاد العقل السليم (٨/ ٢٣٣).
[١٣٠] – انظر: مدارك التنزيل (٣/ ٦٤) و(٣/ ٢٧١) وإرشاد العقل السليم (٧/ ٢١٦) ومراح لبيد (١/ ٤٨١).
[١٣١] – انظر: التحرير والتنوير (١١/ ١١٦).
[١٣٢] – انظر: الصاحبي في فقه اللغة (ص: ١٣٣).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٤)، ص ص ٢٣١٧ - ٢٣٨١ (رجب ١٤٤١هـ / مارس ٢٠٢٠م)

قُرْآناً سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى) هذه جملة شرطية جوابها محذوف، وقد اختلف العلماء في تقديره: فقال بعضهم: تقدير الجواب: لكان هذا القرآن[١٣٣].وقال بعضهم: تقدير الجواب: لما آمنوا به، وقد مال إليه الزجاج[١٣٤]. وقيل إن جملة الشرط متعلقة بما قبلها، والمعنى: وهم يكفرون بالرحمن ولو أن قرآنا سيرت به الجبال..[١٣٥]. أي هم يكفرون بالرحمن ولو نزل عليهم القرآن الذي هي صفته. وقيل: (وَلَوْ أَنَّ قُرْآناً سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتى) مجازه مجاز المكفوف عن خبره، ثم استؤنف فقال: (بَلْ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعاً). فمجازه: لو سيّرت به الجبال لسارت، أو قطّعت به الأرض لتقطعت، ولو كلّم به الموتى لنشرت. والعرب قد تفعل مثل هذا لعلم المستمع به استغناء عنه[١٣٦]. وقد اختلف العلماء أيضا في موجبات ترجيح أقوالهم، ونحن يهمنا هنا بيان دلالة الإضمار على اتساع المعنى، وإذا بحثنا عن دلالة هذا الإضمار، سنجد أنه يدل على تعظيم شأن القرآن وتفخيمه أو على بيان المبالغة في عناد الكفار[١٣٧].

---

[١٣٣] – انظر: أنوار التنزيل (٣/ ١٨٨) وبصائر ذوي التمييز ، مجد الدين الفيروزآبادى (المتوفى: ٨١٧هـ)، المحقق: محمد علي النجار، الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، (١/ ١١٢) .

[١٣٤] – معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/ ١٤٨) وأنوار التنزيل وأسرار التأويل (٣/ ١٨٨).

[١٣٥] – معاني القرآن للفراء (٢/ ٦٣) والتسهيل لعلوم التنزيل (١/ ٤٠٥).

[١٣٦]– مجاز القرآن، أبو عبيدة معمر بن المثنى (ت: ٢٠٩هـ)، المحقق: فواد سزكين، مكتبة الخانجي القاهرة،١٣٨١ هـ.(١/ ٣٣١).

[١٣٧] – الصاحبي في فقه اللغة (ص: ١٣٣) والنكت في القرآن الكريم (ص: ٢١٣) وأنوار التنزيل وأسرار التأويل (٣/ ١٨٨).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٤)، ص ص ٢٣١٧ - ٢٣٨١ (رجب ١٤٤١هـ / مارس ٢٠٢٠م)

المطلب الخامس: دلالة الضمير على القصر والحصر:

ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: (إن أتبعُ إلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ) يونس: ١٥. فالضمير المشار إليه في الموصول وصلته[١٣٨]: (ما يوحى إلي)، يعني: ما أتبع إلا الوحي في البلاغ والأمر والنهي والتحليل والتحريم[١٣٩].. فهو قصر لحاله ﷺ ولأفعاله[١٤٠]، وقد استنبط بعض المفسرين من هذه الآية أحكاما أخرى دل عليها القصر والحصر المشار إليه: كمنع نسخ الكتاب بالسنة، وأن النبي ﷺ لم يحكم باجتهاد قط، ولست بصدد بيانها في هذا البحث[١٤١]، وإنما المقصود هنا بيان الدلالة التوسعية للإضمار في الآية بما يتناسب مع طبيعة البحث.

المبحث الثاني: الضمير العائد إلى القرآن الكريم وأثره في الترجيح، وفيه أربعة مطالب:

تمهيد:

تتشابك الأمثلة بين هذا المبحث والمبحث السابق كثيرا، فلذلك قد تكون كثير من تلك الأمثلة لها وجهان للدلالة، وجه يبين اتساع المعنى بالضمير ووجه يبين الترجيح به، فيكون المثال في المبحث الأول لدلالة اتساع المعنى، وفي هذا المبحث لدلالة الترجيح، ومن خلال البحث وجدت أن أمثلة دلالة الضمير في اتساع المعنى أكثر منها في الترجيح.

ومن الجدير ذكره هنا أني سأتكلم عن ترجيح الضمير هنا بغض النظر عن كون آية نزلت قبل أخرى أو بعدها، فذلك مما لا يحتمله هذا البحث، وسأتعامل مع القرآن كله من منطلق أن القرآن يبين بعضه بعضاً، بغض النظر عن السابق واللاحق، وأعتقد أن هذا الأسلوب أوفق في بيان المعاني والدلالات التي يستهدفها هذا البحث.

---

[١٣٨] - انظر: إعراب القرآن وبيانه (٣/ ١١٩). وبعضهم جعل (ما) مصدرية. انظر: التحرير والتنوير (١١/ ١١٨).

[١٣٩] - انظر: تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين، أبو عبد الله مُحَمَّد بن عبد الله بن عيسى بن مُحَمَّد المري، الإلبيري المعروف بابن أبي زَمَنِين المالكي (المتوفى: ٣٩٩هـ)، المحقق: أبو عبد الله حسين بن عكاشة - مُحَمَّد بن مصطفى الكنز، الناشر: الفاروق الحديثة - مصر/ القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م. (٢/ ٦٩) ولباب التأويل في معاني التنزيل (٢/ ٤٣٢) .

[١٤٠] - إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٨/ ٨٠) وفتح القدير للشوكاني (٢/ ٤٨٩).

[١٤١] - انظر: تفسير القرطبي (٨/ ٣١٩) ومفاتيح الغيب (١٧/ ٢٢٥).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٤)، ص ص ٢٣١٧ - ٢٣٨١ (رجب ١٤٤١هـ / مارس ٢٠٢٠م)

وبالنظر في الأمثلة التي جاء الضمير فيها للترجيح نجد أن الترجيح قد جاء فيها على صورتين أساسيتين: الأولى: ترجيح الضمير لمدلول ضمير آخر، في نفس الآية أو في سياقها القريب. والثانية: ترجيح الضمير لمدلول ضمير في آية أخرى في نفس السورة أو في سورة أخرى في نفس الموضوع أو لها تعلق به. ثم بعد ذلك نجد أن هذه الضمائر قد ترجح معنى من المعاني المحتملة، أو ترجح احتمال المعنيين أو المعاني المذكورة معاً، أو ترجح حكما دل عليه ضمير، وسوف نعالج ذلك في المطالب الآتية:

المطلب الأول: دلالة الضمير على ترجيح عائد على ضمير في موضع آخر:

ومن هذا ترجيح عود الضمير على القرآن، من خلال قوله تعالى: {شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِيَ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ)[البقرة:١٨٥]، فهذه الآية فيها ترجيح لعود الضمير على القرآن الكريم في قوله تعالى: {إنا أنزلناه في ليلة القدر} القدر:١، ولو كان غير مذكور في سورة القدر ،والدلالة في هذا كما يلي: من النظر في أقوال المفسرين في قوله: (أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ) نجد أن منهم من قال: معناه ابتدئ فيه إنزاله، وكان ذلك في ليلة القدر. ومنهم من قال: أنزل جملة إلى سماء الدنيا، ثم نزل إلى الأرض منجما. ومنهم من قال: أنزل في شأنه القرآن، أي في شأن رمضان، وهو قوله: (كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيامُ)[١٤٢].

والظاهر أن الصحيح هو القول الأول والثاني، حيث يحتملهما السياق من غير لبس ولا تقصير في المعنى؛ ذلك أن ظاهر قوله تعالى بعد ذلك: (هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ) بيان لأحوال ترجع على القرآن ولا تصلح أن ترجع على رمضان[١٤٣]، وهذا لا ينافيه أن نقول: إن عودة الضمير في (فيه) إلى رمضان، والمعنى أن القرآن نزل في رمضان وليس في شأنه. وعلى هذا فإثبات نزول القرآن في رمضان – على إحدى الصفتين المذكورتين– يرجّح عودة الضمير على القرآن في قوله تعالى: (إنا أنزلناه في ليلة القدر)، لأن ليلة القدر هي في رمضان[١٤٤].

---

[١٤٢] – الكشاف (١/ ٢٢٧) والتسهيل لعلوم التنزيل (١/ ١١١) وفتح القدير (١/ ٢١٠)
[١٤٣] – انظر: البحر المحيط (٢/ ١٩٦) والتحرير والتنوير (٢/ ١٧٣)
[١٤٤] – انظر: فتح القدير (١/ ٢١٠).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٤)، ص ص ٢٣١٧ - ٢٣٨١ (رجب ١٤٤١هـ / مارس ٢٠٢٠م)

المطلب الثاني: دلالة الضمير العائد على ترجيح معنى من المعاني:

ـ من ذلك، ما في قوله تعالى: {أَقِمِ الصَّلاَةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُوداً} الإسراء:٧٨. قال المفسرون إن قرآن الفجر هنا يراد به صلاة الفجر، أو القراءة في صلاة الفجر، وذكر الرازي الإجماع على أن المراد صلاة الفجر(١٤٥)، وكلامه غير دقيق، بدليل وجود اختلاف في ذلك.

فالطبري يرى أن المراد القراءة في صلاة الفجر، فيقول: (وأما قوله: (وَقُرْآنَ الْفَجْرِ) فإن معناه وأقم قرآن الفجر: أي ما تقرأ به في صلاة الفجر من القرآن، والقرآن معطوف على الصلاة في قوله: (أَقِمِ الصَّلاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ)، وكان بعض نحويي البصرة يقول: نصب قوله (وَقُرْآنَ الْفَجْرِ) على الإغراء، كأنه قال: وعليك قرآن الفجر (إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا) يقول: أن ما تقرأ به في صلاة الفجر من القرآن كان مشهودا، يشهده فيما ذكر ملائكة الليل وملائكة النهار)(١٤٦).

وقال جماعة من المفسرين: إن المراد صلاة الفجر نفسها، وسميت صلاة الفجر قرآنا وهو القراءة، لأنها ركن، كما سميت ركوعا وسجودا، أو لكون القراءة هي معظمها. ويجوز أن يكون (وَقُرْآنَ الْفَجْرِ) حثا على طول القراءة في صلاة الفجر، ولذلك كانت الفجر أطول الصلوات قراءة(١٤٧).

فهذه أقوال في معنى قوله: (وقرآن الفجر). وقد رأيت قوة استدلال الطبري على أن المراد القراءة في الصلاة، ولكني أريد الاستدلال بالضمير العائد إلى القرآن على هذا القول، وعليه أقول: قد جاء بعد هذه الآية قوله تعالى: {وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَّحْمُوداً} الإسراء:٧٩. واختلفوا في الضمير في قوله: (به) تبعا لاختلافهم

---

(١٤٥) – انظر: مفاتيح الغيب (٢١/ ٣٨٤).
(١٤٦) – جامع البيان (١٧/ ٥٢٠).
(١٤٧) – انظر: الكشاف (٢/ ٦٨٦، ٦٨٧) والمحرر الوجيز (٣/ ٤٧٨) والبحر المحيط (٧/ ٩٨) .

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٤)، ص ص ٢٣١٧ - ٢٣٨١ (رجب ١٤٤١هـ / مارس ٢٠٢٠م)

في (قرآن الفجر) لأنه في سياقه، فانسجم قول الطبري فيه مع قوله في (قرآن الفجر)[١٤٨]، وأوّل بعضهم الكلام بما يتناسب مع قوله أن (قرآن الفجر) هو صلاة الفجر[١٤٩]..

وفي رأيي: أن الضمير في (به) من قوله (فتهجد به)، ضمير مرجِّح لقول من قال أن (قرآن الفجر) هو قراءة القرآن في صلاة الفجر، وفي تفسير أبي حيان قال: (ومن قال معنى وقرآن الفجر صلاة الفجر غلط؛ لأنه صرف الكلام عن حقيقته إلى المجاز بغير دليل، ولأن في نسق التلاوة (ومن الليل فتهجد به نافلة لك) ويستحيل التهجد بصلاة الفجر ليلا. والهاء في (به) كناية عن قرآن الفجر المذكور قبله، فثبت أن المراد حقيقة القرآن لا مكان التهجد بالقرآن المقروء في صلاة الفجر)[١٥٠]. فالظاهر أن الضمير في (به) يعود على القرآن من حيث هو، لا بقيد إضافته إلى الفجر[١٥١]، فالتهجد يكون بمطلق القرآن وليس بما يقرأ به في صلاة الفجر فقط. وبهذا يترجح أن (قرآن الفجر) المراد به قراءة القرآن فيها، وما يقرأ فيها هو جز مما أطلقه في قوله (تهجد به).

ومما يرجحه الضمير مما هو في هذا الباب: ترجيح معنى دون آخر مؤيدا بالسياق، كما في قوله تعالى: {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً} الفرقان:٣٢. فقد ذكر بعض المفسرين أن قوله: (كذلك) هو من تمام كلام المشركين، والمعنى: لولا نزل جملة واحدة كذلك، أي كالتوراة والإنجيل[١٥٢].

وذكر مفسرون آخرون: أن قوله: (كذلك) هو من كلام الله ردا على تساؤل المشركين عن نزول القرآن[١٥٣]. والتقدير: أنزلناه إنزالا كذلك الإنزال المنجم، فموقع جملة (كذلك) موقع الاستئناف في المحاورة[١٥٤]. والرأي الثاني هو

---

[١٤٨] – انظر: جامع البيان (١٧/ ٥٢٣).
[١٤٩] – انظر: مفاتيح الغيب (٢١/ ٣٨٦) والبحر المحيط (٧/ ٩٨).
[١٥٠] – البحر المحيط في التفسير (٧/ ٩٨).
[١٥١] – اللباب في علوم الكتاب (١٢/ ٣٦٠) والتحرير والتنوير (١٥/ ١٨٤)
[١٥٢] – مفاتيح الغيب (٢٤/ ٤٥٧) وتفسير القرطبي (١٣/ ٢٨).
[١٥٣] – زاد المسير في علم التفسير (٣/ ٣٢٠) وإرشاد العقل السليم (٦/ ٢١٥) .
[١٥٤] – التحرير والتنوير (١٩/ ١٩).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٤)، ص ص ٢٣١٧ - ٢٣٨١ (رجب ١٤٤١هـ / مارس ٢٠٢٠م)

الأظهر، وترجيحه يأتي من جهتين: الأولى: أن الضمير في قوله: (وَرَتَّلْنَاهُ)، فهو يرجح أن (كذلك) من كلام الله، لأن (ورتلناه ترتيلا) عطف على قوله كذلك، أي أنزلناه منجما ورتلناه[١٥٥]. و(ذلك) في (كذلك) إشارة إلى تساؤلهم عن إنزاله جملة واحدة، وتساؤلهم يفهم منه أن معناه: لمَ نزل مفرقا، فذلك إشارة إلى قولهم، فكان (كذلك) جوابا على هذا المفهوم[١٥٦]. الثانية: أن السياق في الحديث عن أحوال المشركين مع القرآن، ولم يرِد ذكر للكتب السابقة فيه.

. ومما يرجح فيه الضمير معنى من المعاني، مؤيدا بالسياق، قوله تعالى: {إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ، وإنه لهدى ورحمة للمؤمنين} النمل:٧٦، ٧٧.

فظاهر هذه الآية يبين أن القرآن يبين وجه السلامة في أكثر ما اختلف فيه بنوا إسرائيل، وهذا المعنى بناء على أن الآية كلها جملة واحدة تتكلم عن بعض ما يحتويه القرآن الكريم، وعلى هذا جمهور المفسرين، بل جلُّهم[١٥٧].

وهناك من قال إن الآية فيها جملتان، الجملة الأولى: (إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ) أي يبين لهم أو عنهم. والجملة الثانية وهي: (أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ) مستأنفة.

وفي نظري أن قول الجمهور هو الصحيح؛ لأنه يشتمل على معنى أن القرآن يبين أكثر أحوال بني إسرائيل التي اختلفوا فيها ويبين وجه الحق فيها. والقول الآخر يقتصر على معنى أن القرآن يذكر أحوالهم ويقصها كما هي فقط، ثم إن قوله تعالى في الآية التالية: (وإنه لهدى ورحمة للمؤمنين) يؤكد أن السياق متواصل، فهذه الآية عطف على الأولى تتحدث عن القرآن، فالضمير في (إنه) يعود على القرآن الكريم قطعا. وهذا يرجح اتصال السياق ببعضه من أول الكلام عن القرآن، فيكون المعنى: – والله أعلم – إن هذا القرآن يبين الحكم والحق في أكثر ما يختلف فيه بنوا إسرائيل، فيبين عنهم ويبين لهم ذلك، على اعتبار لو كانوا أخذوا بما جاء به، أو باعتبار الموجودين منهم وقت نزول القرآن.

---

[١٥٥] – التحرير والتنوير (١٩/ ٢٠).
[١٥٦] – انظر: مفاتيح الغيب (٢٤/ ٤٥٧).
[١٥٧] – انظر: معاني القرآن للفراء (٢/ ٣٠٠) وجامع البيان (١٩/ ٤٩٤) .

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٤)، ص ص ٢٣١٧ - ٢٣٨١ (رجب ١٤٤١هـ / مارس ٢٠٢٠م)

ومن هذا الباب: أن يرجح الضمير العائد إلى القرآن معنى من المعاني المحتملة لقرينة، كما في قوله تعالى: {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ} فصلت:٢٦. الآية تبين أن الكفار تآمروا ليلغوا في القرآن، ولكن اختلف المفسرون في ماهية المراد باللغو في القرآن في هذه الآية على أقوال: فقيل: (وَالْغَوْا فِيهِ) معناه: الغطوا بالباطل من القول إذا سمعتم قارئه يقرؤه كَيْ لا تسمعوه، ولا تفهموا ما فيه[١٥٨].وقيل: اللغو في اللغة ما لا يعرف له حقيقة ولا يحصل معناه فمعنى (والغوا فيه) أي عارضوه باللغو[١٥٩]. وقيل: (الغوا فيه) يعني: اجحدوه وأنكروه أو عادوه[١٦٠].وقيل: معناه قَعوا فيه وعِيبوه[١٦١]. وعند الترجيح نأتي إلى بعض التفصيل: والذي اخترته: أن القولين الأخيرين في معنى (والغوا فيه) هنا، ليسا لهما مدخل مباشر في معنى اللغو، وإن كان يشملهما معنى اللغو من حيث العموم في اللغة[١٦٢]؛ فالجحد والعيب أمران لم يكونا واقعين عند سماع القرآن بل هو عمل دائم لهم، وأيضا فإن اللغو وعدم السماع يمكن أن يفهما على أنهما من وسائل الجحود والإنكار والعيب، وليسا مطابقين لها في معناها، وجميع تلك الأشياء اعتقدها الكفار من وسائل غَلَبة النبي ﷺ، ولكنها لم تكن تنفذ كلها في وقت تلاوة النبي إلى القرآن.

فيبقى أن اللغو ينصرف إلى المعاني الثلاثة الأولى، مع استبعاد علة المعنى الأول، أنهم لغوا فيه لئلا يسمعه اللاغون أنفسهم ولئلا يفهموه، فهذا القول غير دقيق في تعليل قيامهم باللغو، وذلك لأنهم إذا أرادوا أن لا يسمعوه فما عليهم إلا أن لا يسمعوه، تنفيذا لوصيتهم التي ذكرتها الآية قبل اللغو، حيث قالوا: (لا تسمعوا لهذا القرآن)، وقد كانوا يعرضون عنه ولا يحضرونه.

---

[١٥٨] – جامع البيان (٢١/ ٤٦٠).

[١٥٩] – معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/ ٣٨٤) ومعاني القرآن للنحاس، أبو جعفر النحاس أحمد بن مُحَمَّد (المتوفى: ٣٣٨هـ)، المحقق: مُحَمَّد علي الصابوني، الناشر: جامعة أم القرى – مكة المرمة، الطبعة الأولى، ١٤٠٩. (٦/ ٢٦٣).

[١٦٠] . ا النكت والعيون، المؤلف: أبو الحسن علي بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ)، المحقق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان، د.ت. (٥/ ١٧٨).

[١٦١] – النكت والعيون (٥/ ١٧٨) والتسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٢٤٠).

[١٦٢] – فاللغو يعني: الباطل أو الشيء الذي لا يعتد به أو كثرة اللّهَج، أو السّقَط أو الخطأ.. انظر: مقاييس اللغة (٥/ ٢٥٥) ولسان العرب (١٥/ ٢٥٠).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٤)، ص ص ٢٣١٧ - ٢٣٨١ (رجب ١٤٤١هـ / مارس ٢٠٢٠م)

والظاهر أن في الآية وصيتين، وصية بعدم السماع، ووصية أخرى باللغو للتشويش على من يقرأ أو يسمع ليلبسوا على القارئ والمستمع، وهما مترابطتان، أي أن اللغو يحصل وقت السماع، ومعروف أن سماع القرآن يحصل عندما يتلوه النبي ﷺ على الناس.

فالقرينة العقلية هنا تدل على أن معنى قوله: (والغوا فيه) هو: المعارضة بالباطل واللغَط ونحو ذلك، بقصد التلبيس والخلط، أي حال تلاوته وسماع غيرهم له، وهذا ما أشار إليه الفرّاء بقوله: (قال كفّار قريش، إذا تلا مُحَمَّد القرآن فـ (الغوا فِيهِ)، الغَطوا، لعله يبدّل أَوْ ينسى فتغلبوه)[١٦٣]، وإنما قصدهم التلبيس .

ويؤكد هذا ويرجحه أيضا: تعدي فِعل (الغوا) إلى الضمير بالظرف، فأفاد ذلك دلالة عميقة زائدة على المعنى الظاهر، وذلك أنه: (لما كان المقصود بتخلل أصواتهم صوت القارئ حتى لا يفقهه السامعون عُدي اللغو بحرف (في) الظرفية لإفادة إيقاع لغوهم في خلال صوت القارئ وقوع المظروف في الظرف على وجه المجاز. وأدخل حرف الظرفية على اسم القرآن دون اسم شيء من أحواله مثل صوت أو كلام ليشمل كل ما يخفي ألفاظ القرآن أو يشكك في معانيها أو نحو ذلك)[١٦٤]. وأما الجحود والإنكار والعيب فلا تكون مما تتخلل القرآن حال تلاوته، وتلبيسها عليه غير وارد من جهة ألفاظه ومعانيه، فهذه قرائن ترجح المعنى الذي ذكرته.

ثم إن الضمير في قوله (لهذا القرآن) وهو ضمير إشارة إلى القرآن، يدل على أنهم يقصدون القرآن حال تلاوته وحضور الناس لسماعه، فأشاروا إليه حتى يخلطوه على القارئ والسامع، وهذا الضمير يؤكد ما أكدته القرائن التي ذكرتها.

---

[١٦٣] . معاني القرآن للفراء (٣/ ١٧).

[١٦٤] – التحرير والتنوير (٢٤/ ٢٧٨).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٤)، ص ص ٢٣١٧ - ٢٣٨١ (رجب ١٤٤١هـ / مارس ٢٠٢٠م)

ومن هذا أيضا: ما في قوله تعالى: {إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} الزخرف:٣. ومثلها، قوله: {وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآناً أَعْجَمِيّاً لَّقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ} فصلت:٤٤. استدل البعض من المعتزلة، كالزمخشري وغيره بهذه الآية على أن القرآن مخلوق، قال: لأن جعَل معناه خلَق[١٦٥].

وقد رد العلماء على ذلك وبينوا أن الجعل هنا بمعنى التصيير، أو الوصف أو التسمية أو نحو ذلك، واستدلوا لهذا بأدلة عديدة[١٦٦]. ومن أهم الأدلة التي يذكرونها أنّ (جعلناه) هنا، يتعدى إلى مفعولين، فالهاء هو المفعول الأول، وقرآناً هو المفعول الثاني، وهذا مما يدل على نقض قول أهل البدع: إنه بمعنى خلقنا. إذ لو كان بمعنى خلقنا لم يتعد إلا إلى مفعول واحد[١٦٧]. ثم يأتي أيضا الضمير العائد إلى القرآن في الآية التالية: (وإنه في أم الكتاب لدينا لعلي حكيم)، وهذا يرجح أن الكلام كله عن القرآن. فهذا الضمائر المتلاحقة يرجح بعضها بعضا، وترجح المعنى الذي عليه جمهور الأمة في أن القرآن كلام الله تعالى منزلٌ غير مخلوق.

المطلب الثالث: دلالة الضمير على ترجيح عود ضمير على أكثر من احتمال توسيعا للمعنى:

ومن هذا احتمال عود الضمير على شيئين في نفس الوقت، كما في قوله تعالى: (وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ) يس:٦٩. فالضمير في قوله (إن هو..) اختلف المفسرون في عوده: فقال بعضهم: يعود على مُحَمَّد ﷺ[١٦٨]. وقال بعضهم: الضمير يعود على القرآن[١٦٩].

والظاهر أن الضمير في (إن هو) يحتمل العود على القرآن وعلى الرسول ﷺ، ودليل ذلك من وجوه:

---

[١٦٥] – انظر: مفاتيح الغيب (٢٧/ ٦١٧) .
[١٦٦] – انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/ ٤٠٥) وفتح البيان (١٢/ ٣٢٧).
[١٦٧] – انظر: الهداية إلى بلوغ النهاية (١٠/ ٦٦٢٢) .
[١٦٨] – جامع البيان (٢٠/ ٥٤٩).
[١٦٩] – التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ١٨٦) والتحرير والتنوير (٢٣/ ٥٧) .

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٤)، ص ص ٢٣١٧ - ٢٣٨١ (رجب ١٤٤١هـ / مارس ٢٠٢٠م)

. الأول: أن السياق يحتمل الكلام عنهما معا، فالكلام عن العِلم والمتعلم. الثاني: أن الآية التالية وهي قوله: {لِيُنذِرَ مَن كَانَ حَيّاً} يس:٧٠. فيها قراءات في (ليُنذِر)، فقراءة العامة بضم الياء وكسر الذال المعجمة، وهناك قراءة بتاء الخطاب للنبي ﷺ: (لتُنذر)، وفي هاتين القراءتين[١٧٠]؛ يتضح احتمال عود الضمير في (لينذر) على القرآن وعلى الرسول ﷺ[١٧١]؛ فالكلام يتبع السياق نفسه. الثالث: ما جاء في قوله تعالى: {تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً} الفرقان:١. وهي آية مشابهة، إلا أنها لم يرد فيها لفظ القرآن، وقد اختلف المفسرون في مرجع الضمير في قوله: (لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً)، فقال بعضهم: هو عائد على النبي ﷺ[١٧٢]. وقال بعضهم: هو محتمل العود على القرآن وعلى النبي ﷺ[١٧٣]. وجاء في قول: أنه يصح رجوع الضمير للمنزِّل وهو الله[١٧٤].

وعند النظر في الأقوال وأدلتها سنجد أن لكل منها ما يسنده ويقويه، وسوف أبين جانبا من أدلة الأقوال ثم أبين رأيي في الأمر، كما يلي:

أولا: القول الأول: حيث يمكن ترجيح أن الضمير في (ليكون) يعود على القرآن من خلال سياق الآية، فالقرآن مذكور قبل ذلك، ويؤكد هذا قراءة بالجمع لكلمة (عبادنا)، ففي حال هذه القراءة لا يحتمل الضمير في (ليكون) العود لغير القرآن[١٧٥]، فالضمير المفرد لا يرجع على الجمع. ثانيا: القول الثاني: حيث يمكن ترجيح أن الضمير في (ليكون) يعود على النبي ﷺ، من خلال السياق، فكلمة (عبده) تعني النبي مُحَمَّدا، وقراءة العامة (عبده) بالإفراد فيها احتمال ذلك. ثالثا: القول الثالث: الضمائر في قوله تعالى: {وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ} الأنعام:١٩. تؤكد أن الإنذار مرتبط

---

[١٧٠] – وهما قراءتان متواترتان ينظر :معاني القراءات للأزهري ٣١٢/٢ .
[١٧١] – انظر: البحر المحيط (٩/ ٨١).
[١٧٢] – انظر: جامع البيان (١٩/ ٢٣٣) ومفاتيح الغيب (٢٤/ ٤٢٩).
[١٧٣] – المحرر الوجيز (٤/ ١٩٩) وتفسير القرطبي (١٣/ ٢) .
[١٧٤] – فتح البيان (٩/ ٢٨٠).
[١٧٥] – انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ١٩٩).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٤)، ص ص ٢٣١٧ - ٢٣٨١ (رجب ١٤٤١هـ / مارس ٢٠٢٠م)

بالنبي وبالقرآن معا، فقوله: (لأُنذِرَكُم)، الضمير فيها يعود على النبي ﷺ، والضمير في (به) يعود على القرآن، وهذا يدل على أن الإنذار من النبي كائن بالقرآن الكريم.

ومما يرجح هذه الدلالة أيضا، قوله تعالى: {وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآناً عَرَبِيّاً لِّتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ} الشورى:٧. ففي ظاهر هذه الآية على قراءة دلالة على أن المنذِر هو النبي ﷺ، وهو ينذر بالقرآن الكريم أو بالوحي عموما. ولكن هناك قراءة أخرى في الآية هي: (لينذِر) بالياء، والضمير فيها عائد على القرآن، والمعنى: لينذر القرآن أم القرى ولينذر يوم الجمع[١٧٦]. فعلى هذا يحتمل أن المنذِر هو النبي صلى الله عليه وسلم بالقرآن، ويحتمل أن المنذِر هو القرآن نفسه. الرابع: أن هناك آيات أخرى في القرآن الكريم تدل ضمائرها العائدة أن كلا من النبي والقرآن قائم بالإنذار؛ لعودتها على هذا في بعضها، وعلى هذا في بعضها الآخر، فمما يدل أن المعني بالإنذار هو القرآن، قوله تعالى: {وَمِن قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَاماً وَرَحْمَةً وَهَذَا كِتَابٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَاناً عَرَبِيّاً لِّيُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَى لِلْمُحْسِنِينَ} الأحقاف:١٢، فالواضح هنا أن الضمير في (لينذر) يعود على الكتاب الذي هو القرآن. ومما يدل أن المعني بالإنذار هو النبي ﷺ، قوله تعالى: {رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ} غافر:١٥. فالواضح أن الضمير في (لينذر) هنا عائد على واحد العباد، والمقصود الرسول أو النبي.

فكل هذه المرجحات تدل على أن عود الضمير في قوله تعالى: {وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ}، الذي صدرت به هذه المسألة في قوله: (إن هو) يحتمل العود على القرآن وعلى النبي ﷺ.

. ومن هذا أيضا: ما في قوله تعالى: {وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَراً مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ} الأحقاف:٢٩. فالضمائر في قوله (فلما حضروه، فلما قضي) جاء فيها خلاف، وقد قال

---

[١٧٦] – انظر: أنوار التنزيل (٥/ ٧٧) والدر المصون (٩/ ٥٤١) وإرشاد العقل السليم (٨/ ٢٣) وروح المعاني (١٣/ ١٥).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٤)، ص ص ٢٣١٧ - ٢٣٨١ (رجب ١٤٤١هـ / مارس ٢٠٢٠م)

المفسرون أن الضمائر هنا تحتمل العود على القرآن وعلى الرسول[١٧٧]، وقال البعض: بأن الضمير في (حضروه) يعود إلى القرآن من باب المجاز وإلا فهم حضروا قارئه، ومثله في (قضي) أي انقضت قراءته[١٧٨].

والراجح في هذا هو أن الضمائر يمكن أن تعود إلى القرآن ويمكن أن تعود على النبي، فالأمران محتملان، ويتأيد ذلك بالقراءات التي توجّه الضمائر، فقوله: {فَلَمَّا قُضِيَ} العامة على بنائه للمفعول، أي فرغ من قراءة القرآن، وهو يؤيد عود «هاء» حضروه على القرآن. وقرأ أبو مِجْلزٍ وحبيب بن عبد الله (قَضَى) مبنياً للفاعل، أي أتم الرسول قراءته، وهي تؤيد عودها على الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاة وَالسَّلَام[١٧٩]، ويُقْرَأُ (فَلما قضَاهُ)، وهي تؤيد أن يعود الضمير إلى القرآن وعلى النبي في نفس الوقت[١٨٠].

ومن هذا أيضا: ما في قوله تعالى: {إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَؤُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَؤُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ}المزمل: ٢٠.

ففي هذه الآية اختلف المفسرون في دلالة الضمير العائد إلى القرآن في قوله تعالى: (فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ)، وهذا بناء على اختلافهم في معنى لفظ (القرآن) هل يقصد به القرآن نفسه أم يقصد به الصلاة، وهذا مثل اختلافهم في قوله تعالى: {وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُوداً} الإسراء:٧٨. وذلك كما يلي: القول الأول: أن المقصود بقوله: (فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ) نفس القراءة في الصلاة، والمقصود التخفيف في القراءة في صلاة الليل أو في القراءة في الصلاة بوجه عام، فالهاء

---

[١٧٧] – انظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٤/ ٣١١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٥/ ١٠٥) .

[١٧٨] – انظر: التحرير والتنوير (٢٦/ ٥٨).

[١٧٩] – اللباب في علوم الكتاب (١٧/ ٤١٤).

[١٨٠] – انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/ ٤٤٧).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٤)، ص ص ٢٣١٧ - ٢٣٨١ (رجب ١٤٤١هـ / مارس ٢٠٢٠م)

في قوله "منه" تعود على القرآن الكريم، وهذا قاله الإمام الطبري وذكر أن أهل التأويل قالوا بنحوه[١٨١]، وجاء هذا القول عن غير الطبري أيضا من المفسرين بعده[١٨٢]. ورجح القرطبي هذا القول فقال بأنه (أصح، حمْلاً للخطاب على ظاهر اللفظ، والقول الثاني مجاز، فإنه من تسمية الشيء ببعض ما هو من أعماله)[١٨٣]. القول الثاني: أن المقصود بقوله: (فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ) الصلاة، أي فصلوا ما تيسر عليكم، والصلاة تسمى قرآنا، كقوله تعالى: (وقرآن الفجر) أي صلاة الفجر[١٨٤]. وفي الكناية عن الصلاة بالقرآن جمْع بين الترغيب في القيام والترغيب في تلاوة القرآن فيه بطريقة الإيجاز[١٨٥]. القول الثالث: أم المراد بقوله: (فاقرؤوا ما تيسر من القرآن) دراسته مطلقا، وتحصيل حفظه وأن لا يعرّض للنسيان، فقيل يقرأ مائة آية ونحوها، وقيل إن قراءة السورة القصيرة كافية[١٨٦]. وهذا يقصد أن القرآن المراد في الآية هو قراءة القرآن في غير الصلاة.

فهذه المعاني تحتملها دلالة الضمير العائد إلى القرآن في الآية، وهو من باب توسيع المعنى.

---

[١٨١] – جامع البيان (٢٣/ ٦٩٩).
[١٨٢] – انظر: تفسير القرطبي (١٩/ ٥٣) ولباب التأويل (٤/ ٣٦٠).
[١٨٣] – تفسير القرطبي (١٩/ ٥٤).
[١٨٤]– تفسير القرطبي (١٩/ ٥٤) ولباب التأويل (٤/ ٣٦٠) والتحرير والتنوير (٢٩/ ٢٨٣).
[١٨٥] – التحرير والتنوير (٢٩/ ٢٨٣).
[١٨٦] – لباب التأويل (٤/ ٣٦٠).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٤)، ص ص ٢٣١٧ - ٢٣٨١ (رجب ١٤٤١هـ / مارس ٢٠٢٠م)

المطلب الرابع: دلالة الضمير العائد على ترجيح حكم من الأحكام المختلف فيها:

وذلك كما في قوله تعالى: {إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ، فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ، لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ} الواقعة:٧٧- ٧٩، فالضمير في قوله (إنه) يعود إلى القرآن وهو ضمير الشأن للتنويه به، ثم قوله (في كتاب مكنون) أي القرآن في كتاب مكنون[١٨٧]. وهذا لا بأس به إلى هنا، ولكن الخلاف في عود الضمير في قوله تعالى: (لا يمسه إلا المطهرون) وما يبنى عليه من الأحكام.

فذكر قوم بأنه يعود على القرآن، فيكون المعنى: لا يمسه إلا طاهر، ولكنهم اختلفوا في المقصود بالمطهرين، هل هم من بني آدم، أم من الملائكة، وما الذي هم مطهرون منه[١٨٨]، وقيل: إن (لا يمسه) خبر منفي بصورة نهي، فيكون صفة، كما هو السياق في وصف القرآن، وهذا تؤيده قراءة ابن مسعود (ما يمسه)[١٨٩]، على الخبرية.

وفي الآيات دلالات واسعة أخرى، كإثبات نبوة مُحَمَّد ﷺ، وأن القرآن من عند الله[١٩٠].

---

[١٨٧] - انظر: جامع البيان (٢٣/ ١٤٩) والمحرر الوجيز (٥/ ٢٥١) وتفسير القرطبي (١٧/ ٢٢٤).
[١٨٨] - انظر: التفسير الوسيط - مجمع البحوث (٩/ ١٢٦٨)
[١٨٩] - انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٥/ ٢٥٢).
[١٩٠] - انظر: محاسن التأويل (٩/ ١٢٨، ١٣٢) .

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٤)، ص ص ٢٣١٧ - ٢٣٨١ (رجب ١٤٤١هـ / مارس ٢٠٢٠م)

الخاتمة:

في ختام هذا البحث (الأثر الدلالي للضمير العائد إلى (القرآن) -في القرآن الكريم-)، أرجو أن أكون قد وفقت في عرض مفرداته والاستدلال لما فيه، وأسال الله أن ينفع به. وقد توصلت من خلاله إلى عدة نتائج وتوصيات، أهمها:

أولا: النتائج:

١. للضمائر قواعدها اللغوية التي استنبطها علماء اللغة من القرآن الكريم، وهذه القواعد مهمة جدا لفهم دلالات الضمائر في النص القرآني.

٢. ذُكر لفظ القرآن في القرآن (٥٨) مرة، وقرآناً (١٠) مرات، وقرآنه (مرتان)، فالمجموع ٧٠.

٣. ليس كل ألفاظ (القرآن، قرآن) يكون معناها القرآن الكريم المعروف، وقد جاءت تلك الألفاظ لمعان مختلفة: منها ما هو بمعنى القرآن كله أو بعضه. ومنها ما هو بمعنى القراءة والتلاوة. ومنها ما هو بمعنى الصلاة، أو القراءة فيها.

٤. الضمائر المصاحبة للفظ القرآن وقرآن من حيث عودها على القرآن، جاءت في القرآن بعدة صور، كما يلي: ضمائر عائدة إلى القرآن من غير خلاف، ضمائر في عودها على القرآن خلاف، ضمائر يترجح أن تعود إلى القرآن ولغيره من المحتملات في السياق.

٥. الضمائر العائدة إلى القرآن على أنواع: ضمير الغائب، وهو أكثر الضمائر عودا إلى القرآن، ومنها ما هو ظاهر ومنها ما هو مقدر، ضمير الإشارة وهو يأتي في الدرجة الثانية، وفي معظمه جاء مشيرا باسم الإشارة (هذا) ،ضمير الموصول، وهو قليل، بحيث أني وجدت منه مثالا واحدا فقط يعود إلى القرآن، وهو في سورة الإسراء: {وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاء وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلاَ يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إَلاَّ خَسَاراً} الإسراء:٨٢

٦. هناك أحوال عدة لعود الضمير إلى القرآن: فقد يعود الضمير إلى القرآن وهو مذكور في السياق، وأحيانا يعود عليه مع أنه غير مذكور في السياق، وإنما دلت عليه قرائن، وأحيانا يكون الضمير العائد إلى القرآن سابقا وأحيانا يكون لاحقا للفظ القرآن.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٤)، ص ص ٢٣١٧ - ٢٣٨١ (رجب ١٤٤١هـ / مارس ٢٠٢٠م)

٧. من المعاني التي يدل عليها الضمير العائد إلى القرآن، المعاني التالية: الدلالة على أن القرآن علَم على القرآن كله وعلى كل آية أو سورة منه ،الدلالة على معاني خاصة لا تظهر بدون الضمير ،الدلالة على التوكيد، والتفخيم والتعظيم والتنويه بشأن القرآن والحض على قراءته والاهتمام به ،الدلالة على معاني مختلفة -بحسب تقدير عودته إلى القرآن أو لغيره مما هو في السياق-، كوصف أو حال أو حكم ونحو ذلك، بحيث تكون تلك المعاني أو بعضها مقصودة أو محتملة في نفس الوقت ،الدلالة على القصر والحصر.

٨. الضمير العائد الدال على الترجيح، يأتي ترجيحه بعدة صور: الدلالة على ترجيح عائد ضمير في موضع آخر. أو على دلالة ضمير في نفس الآية أو في موضع آخر، الدلالة على ترجيح معنى دون آخر، الدلالة على ترجيح دخول كل المحتملات في المعنى المدلول عليه، الدلالة على ترجيح حكم مستنبط من الآيات ،بعض الضمائر العائدة إلى القرآن فيها أكثر من فائدة في نفس الوقت، فهي توسع المعنى، وترجح بعض المعاني أيضا.

ثانيا: التوصيات:

وهذه التوصيات يمكن أن أجملها في توصية عامة وتوصية خاصة، كما يأتي:

١- أوصي بالتوسع في الدراسات الدلالية لاستخراج المعاني والترجيح بينها.. وأن تعتمد مراكز البحث العلمي مثل هذه الأبحاث الدلالية في إطار النص القرآني، لما في ذلك من ثمار وفوائد جمة على مستويات عديدة.

٢. أوصي الباحثين بالبحث في مواضيع خاصة دلالية، ومنها:

- دراسة دلالات اسم الإشارة إلى القرآن وأسمائه في القرآن.
- دراسة معاني القرآن في القرآن.. كتكملة لبحثي هذا.

وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٤)، ص ص ٢٣١٧ - ٢٣٨١ (رجب ١٤٤١هـ / مارس ٢٠٢٠م)

الأثر الدلالي للضمير العائد إلى (القرآن) في القرآن الكريم

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٤)، ص ص ٢٣١٧ - ٢٣٨١ (رجب ١٤٤١هـ / مارس ٢٠٢٠م)

د.عبدالله بن صالح بن عبدالله الخضيري

The Semantic Effect for the Pronoun referring to the Word Quran in the Holy Qur'an

Prepared by: Abdullah bin Saleh al-Khodairi
Associate Professor, Faculty of Da'wa and Fundamentals of Religion
Umm Al Qura University

١٤٤١ - ٢٠١٩

Abstract

This research aims at indicating the meaning of pronoun in general, its significance as a rule of interpretation of the Qur'an, and the impact of the pronoun referring to Qur'an word on the variety of semantics and weighting through considering the Quranic verses which included the words (Al-Quran, Qur'an). The research employed the descriptive approach based on analysis and deduction to achieve its goals and objectives

The research adds miraculous eloquence indications to the Holy Qur'an by clarifying the semantic diversity that it proves from the pronoun referring to the Qur'an as well identifying some indications regarding the variety of meaning which were identified through contemplating the Holy Quran. These indications include: Indication that the name of the Qur'an refers to the whole Quran and to each verse or surah, and that the pronoun may refer to Qur'an in multiple forms, pronounced and noticeable, previous or subsequent. The pronoun referring to the Qur'an comes either absent, or present through the demonstrative or relative pronouns. In clarifying this, there are indications shows the high status of the Qur'an and its greatness from all aspects

The research also shows that one of the indications of the pronoun's reference to the Qur'an is to prove descriptions, conditions and rulings that belong to the Qur'an. The research also shows that the pronoun referring to the Qur'an has weighting connotations, either in the pronoun itself, or in the weighting of certain meanings, or in the weighting of possible meanings in the context, and so on.

Key words: The Referring Pronoun return, The Referring of the Pronoun, diversity of meaning, weighting

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٤)، ص ص ٢٣١٧ - ٢٣٨١ (رجب ١٤٤١هـ / مارس ٢٠٢٠م)

المصادر والمراجع

١. اجتهادات لغوية، د. تمام حسان، عالم الكتب، ط ٢٠٠٧م.
٢. أحكام القرآن، القاضي مُحَمَّد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي (المتوفى: ٥٤٣هـ)، راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلَّق عليه: مُحَمَّد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الثالثة، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.
٣. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (تفسير أبي السعود العمادي)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د ت.
٤. إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش (المتوفى: ١٤٠٣هـ)، دار الإرشاد للشئون الجامعية - حمص - سورية، (دار اليمامة - دمشق - بيروت)، (دار ابن كثير - دمشق - بيروت)، الطبعة الرابعة، ١٤١٥ هـ.
٥. أنوار التنزيل وأسرار التأويل، المؤلف: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن مُحَمَّد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: ٦٨٥هـ)، المحقق: مُحَمَّد عبد الرحمن المرعشلي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ.
٦. أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، أبو مُحَمَّد، جمال الدين، ابن هشام (المتوفى: ٧٦١هـ)، المحقق: يوسف الشيخ مُحَمَّد البقاعي دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، د.ت.
٧. البحر المحيط في التفسير، أبو حيان مُحَمَّد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ)، المحقق: صدقي مُحَمَّد جميل، دار الفكر – بيروت، طبعة: ١٤٢٠ هـ.
٨. البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، أبو العباس أحمد بن مُحَمَّد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي (المتوفى: ١٢٢٤هـ)، المحقق: أحمد عبد الله القرشي رسلان الناشر: الدكتور حسن عباس زكي – القاهرة، الطبعة: ١٤١٩ هـ.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٤)، ص ص ٢٣١٧ - ٢٣٨١ (رجب ١٤٤١هـ / مارس ٢٠٢٠م)

٩. البرهان في علوم القرآن، المؤلف: أبو عبد الله بدر الدين مُحَمَّد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفى: ٧٩٤هـ)، المحقق: مُحَمَّد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة: الأولى، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م، الناشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه.

١٠. بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، مجد الدين أبو طاهر مُحَمَّد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: ٨١٧هـ)، المحقق: مُحَمَّد علي النجار، الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، عام النشر: من١٩٧٣ م إلى ١٩٩٦م.

١١. تاج العروس من جواهر القاموس، للمرتضى، الزَّبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، د ت.

١٢. التبيان في إعراب القرآن، أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري (المتوفى: ٦١٦هـ)، المحقق: علي مُحَمَّد البجاوي، الناشر: عيسى البابي الحلبي وشركاه.

١٣. التحرير والتنوير، مُحَمَّد الطاهر ابن عاشور التونسي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

١٤. التسهيل لعلوم التنزيل، المؤلف: أبو القاسم، مُحَمَّد بن أحمد بن مُحَمَّد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي الغرناطي (المتوفى: ٧٤١هـ)، المحقق: الدكتور عبد الله الخالدي، الناشر: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم — بيروت، الطبعة الأولى - ١٤١٦ هـ.

١٥. تفسير ابن كثير (تفسير القرآن العظيم)، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، المحقق: مُحَمَّد حسين شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلمية، منشورات مُحَمَّد علي بيضون — بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٩ هـ.

١٦. التفسير الحديث، مُحَمَّد عزت دروزة، دار إحياء الكتب العربية القاهرة، ١٣٨٣ هـ.

١٧. تفسير الشعراوي (الخواطر)، مُحَمَّد متولي الشعراوي (المتوفى: ١٤١٨هـ) نشر عام ١٩٩٧ م.

١٨. تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين، أبو عبد الله مُحَمَّد بن عبد الله بن عيسى، الإلبيري المعروف بابن أبي زَمَنِين المالكي (المتوفى: ٣٩٩هـ)، المحقق: أبو عبد الله حسين بن عكاشة - مُحَمَّد بن مصطفى الكنز، الناشر: الفاروق الحديثة - مصر/ القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

١٩. التفسير القرآني إلى القرآن، عبد الكريم الخطيب، دار الفكر العربي، القاهرة، د ت.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٤)، ص ص ٢٣١٧ - ٢٣٨١ (رجب ١٤٤١هـ / مارس ٢٠٢٠م)

٢٠. تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن)، أبو عبد الله مُحَمَّد بن أحمد القرطبي، ت: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م.

٢١. تفسير المنار، تفسير القرآن الحكيم، مُحَمَّد رشيد رضا (المتوفى: ١٣٥٤هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠ م.

٢٢. التفسير الوسيط إلى القرآن الكريم، المؤلف: مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، الناشر: الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، د. ت.

٢٣. تهذيب اللغة، المؤلف: مُحَمَّد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ)، المحقق: مُحَمَّد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي — بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م.

٢٤. توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك، المؤلف: أبو مُحَمَّد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن عليّ المرادي المصري المالكي (المتوفى: ٧٤٩هـ)، شرح وتحقيق: عبد الرحمن علي سليمان، أستاذ اللغويات في جامعة الأزهر، دار الفكر العربي، الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٨م.

٢٥. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، المؤلف: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، د.ت.

٢٦. جامع البيان في تأويل القرآن، المؤلف: مُحَمَّد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، المحقق: أحمد مُحَمَّد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.

٢٧. جامع الدروس العربية، مصطفى بن مُحَمَّد سليم الغلاييني (المتوفى: ١٣٦٤هـ)، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا — بيروت، الطبعة: الثامنة والعشرون، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣م.

٢٨. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: ٤٣٠هـ)، الناشر: السعادة - بجوار محافظة مصر، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م

٢٩. الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، المؤلف: أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (المتوفى: ٧٥٦هـ، المحقق: الدكتور أحمد مُحَمَّد الخراط، الناشر: دار القلم، دمشق، د.ت.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٤)، ص ص ٢٣١٧ - ٢٣٨١ (رجب ١٤٤١هـ / مارس ٢٠٢٠م)

٣٠. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، المؤلف: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ)، المحقق: علي عبد الباري عطية، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ.

٣١. زاد المسير في علم التفسير، المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن مُحَمَّد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، المحقق: عبد الرزاق المهدي، د.ت.

٣٢. زهرة التفاسير، المؤلف: مُحَمَّد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (المتوفى: ١٣٩٤هـ)، دار الفكر العربي، د.ت.

٣٣. السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، شمس الدين، مُحَمَّد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي (المتوفى: ٩٧٧هـ)، مطبعة بولاق (الأميرية)، القاهرة، عام النشر: ١٢٨٥ هـ.

٣٤. شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ابن عقيل، عبد الله بن عبد الرحمن العقيلي الهمداني المصري (المتوفى: ٧٦٩هـ)، المحقق: مُحَمَّد محيي الدين عبد الحميد، دار التراث، القاهرة، دار مصر للطباعة، سعيد جودة السحار وشركاه، ط٢٠، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م.

٣٥. الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)، الناشر: مُحَمَّد علي بيضون، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.

٣٦. صحيح البخاري، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري، المؤلف: مُحَمَّد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، المحقق: مُحَمَّد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم مُحَمَّد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

٣٧. صحيح مسلم، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، المؤلف: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، المحقق: مُحَمَّد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي — بيروت، د.ت.

٣٨. علل النحو، مُحَمَّد بن عبد الله بن العباس، أبو الحسن، ابن الوراق (المتوفى: ٣٨١هـ)، المحقق: محمود جاسم مُحَمَّد الدرويش، الناشر: مكتبة الرشد - الرياض / السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩م.

٣٩. عود الضمير وأثره في التفسير دراسة لضمير الغائب المعتمد على الهاء في حزب المفصل رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراة من قسم الثقافة الإسلامية بجامعة الملك سعود ؛للدكتور عبدالحكيم بن عبدالله بن عبدالرحمن القاسم، بإشراف الدكتور :زيد بن عمر بن عبدالله العيص ،نوقشت بتاريخ ١٤٣٠/٦/١٦هـ بكلية التربية بجامعة الملك سعود نسخة pdf

٤٠. فتحُ البيان في مقاصد القرآن، المؤلف: أبو الطيب مُحَمَّد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي (المتوفى: ١٣٠٧هـ)، عني بطبعهِ وقدّم له وراجعه: خادم العلم عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري، الناشر: المكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، صَيدَا – بَيروت، عام النشر: ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م.

٤١. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، المؤلف: مُحَمَّد بن علي بن مُحَمَّد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، د.ت.

٤٢. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الثالثة - ١٤٠٧ هـ.

٤٣. الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، المؤلف: أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، أبو البقاء الحنفي (المتوفى: ١٠٩٤هـ)، المحقق: عدنان درويش - مُحَمَّد المصري، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، د.ت.

٤٤. الكنز في القراءات العشر، المؤلف: أبو مُحَمَّد، عبد الله بن عبد المؤمن الواسطيّ (المتوفى: ٧٤١هـ)، المحقق: د. خالد المشهداني، الناشر: مكتبة الثقافة الدينية – القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م

٤٥. لباب التأويل في معاني التنزيل، المؤلف: علاء الدين علي بن مُحَمَّد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن (المتوفى: ٧٤١هـ)، المحقق: تصحيح مُحَمَّد علي شاهين، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٥ هـ.

٤٦. اللباب في علوم الكتاب، المؤلف: أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (المتوفى: ٧٧٥هـ)، المحقق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي مُحَمَّد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٩ هـ -١٩٩٨م.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٤)، ص ص ٢٣١٧ - ٢٣٨١ (رجب ١٤٤١هـ / مارس ٢٠٢٠م)

٤٧. اللباب في قواعد اللغة وآلات الأدب النحو والصرف والبلاغة والعروض واللغة والمثل، المؤلف: مُحَمَّد علي السَّراج، مراجعة: خير الدين شمسي باشان الناشر: دار الفكر – دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.

٤٨. لسان العرب، المؤلف: مُحَمَّد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ)، الناشر: دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ.

٤٩. اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان عمر، الناشر: عالم الكتب، الطبعة الخامسة ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م.

٥٠. مباحث في علوم القرآن لمناع القطان، مناع بن خليل القطان (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الطبعة الثالثة ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.

٥١. مجاز القرآن لأبي عبيدة، أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمى البصري (المتوفى: ٢٠٩هـ)، المحقق: مُحَمَّد فواد سزكين، الناشر: مكتبة الخانجى – القاهرة، الطبعة: ١٣٨١ هـ.

٥٢. محاسن التأويل، المؤلف: مُحَمَّد جمال الدين بن مُحَمَّد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: ١٣٣٢هـ)، المحقق: مُحَمَّد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلميه – بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٨ هـ.

٥٣. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، المؤلف: أبو مُحَمَّد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ)، المحقق: عبد السلام عبد الشافي مُحَمَّد، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٢٢ هـ.

٥٤. المحقق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥ - ١٩٨٤

٥٥. مختار الصحاح، المؤلف: زين الدين أبو عبد الله مُحَمَّد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفى: ٦٦٦هـ)، المحقق: يوسف الشيخ مُحَمَّد، الناشر: المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت – صيدا، الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٤)، ص ص ٢٣١٧ - ٢٣٨١ (رجب ١٤٤١هـ / مارس ٢٠٢٠م)

٥٦. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، المؤلف: مُحَمَّد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، المحقق: مُحَمَّد المعتصم بالله البغدادي، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦م

٥٧. مدارك التنزيل وحقائق التأويل، المؤلف: أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (المتوفى: ٧١٠هـ)، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، الناشر: دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.

٥٨. المدخل لدراسة القرآن الكريم، مُحَمَّد أبو شُهبة (المتوفى: ١٤٠٣هـ)، مكتبه السنة – القاهرة، الطبعة الثانية، ٢٠٠٣م.

٥٩. مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد، المؤلف: مُحَمَّد بن عمر نووي الجاوي البنتني إقليما، التناري بلدا (المتوفى: ١٣١٦هـ)، المحقق: مُحَمَّد أمين الصناوي، د.ت.

٦٠. مرجع الضمير القرآن الكريم، المؤلف: مُحَمَّد حسنين صبرة، مؤسسة :دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ،الطبعة الثانية ٢٠٠١م ،القاهرة

٦١. مسند الشاميين، المؤلف: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ)

٦٢. معاني القرآن للنحاس، أبو جعفر النحاس أحمد بن مُحَمَّد (المتوفى: ٣٣٨هـ)، المحقق: مُحَمَّد علي الصابوني، الناشر: جامعة أم القرى - مكة المرمة، الطبعة الأولى، ١٤٠٩.

٦٣. معاني القرآن وإعرابه للزجاج، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (المتوفى: ٣١١هـ)، المحقق: عبد الجليل عبده شلبي، الناشر: عالم الكتب – بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.

٦٤. معاني القرآن، المؤلف: أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء (المتوفى: ٢٠٧هـ)، المحقق: أحمد يوسف النجاتي / مُحَمَّد علي النجار / عبد الفتاح إسماعيل الشلبي، الناشر: دار المصرية للتأليف والترجمة – مصر، الطبعة: الأولى، د. ت.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٤)، ص ص ٢٣١٧ - ٢٣٨١ (رجب ١٤٤١هـ / مارس ٢٠٢٠م)

٦٥. معترك الأقران في إعجاز القرآن، ويُسمَّى (إعجاز القرآن ومعترك الأقران)، المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت — لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.

٦٦. المعجم الوسيط، قام بإخراجه: إبراهيم مصطفى، وآخرون، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر، استانبول، تركيا، د.ت.

٦٧. مفاتيح الغيب، الإمام فخر الدين الرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة: ١٤٢٠ هـ.

٦٨. مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)، المحقق: عبد السلام مُحَمَّد هارون، د.ت.

٦٩. النحو الوافي، عباس حسن (المتوفى: ١٣٩٨هـ)، دار المعارف، الطبعة الخامسة عشرة، د. ت.

٧٠. النكت الدالة على البيان في أنواع العلوم والأحكام، أحمد مُحَمَّد بن علي بن مُحَمَّد الكَرَجي القصَّاب (المتوفى: نحو ٣٦٠هـ)، تحقيق: الجزء ١: علي بن غازي التويجري، الجزء ٢ - ٣: إبراهيم بن منصور الجنيدل، الجزء ٤: شايع بن عبده بن شايع الأسمري، دار النشر: دار القيم - دار ابن عفان، الطبعة الأولى ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.

٧١. النكت في القرآن الكريم (في معاني القرآن الكريم وإعرابه)، علي بن فَضَّال بن علي بن غالب المجَاشِعِي القيرواني، أبو الحسن (المتوفى: ٤٧٩هـ)، دراسة وتحقيق: د. عبد الله عبد القادر الطويل، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٨ هـ، ٢٠٠٧ م.

٧٢. النكت والعيون، المؤلف: أبو الحسن علي بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ)، المحقق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان، د.ت.

٧٣. الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، أبو مُحَمَّد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن مُحَمَّد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (المتوفى: ٤٣٧هـ)، المحقق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي، جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي، الناشر: مجموعة بحوث الكتاب والسنة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الشارقة، الطبعة الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.